

القلب في شعر الشابي

واسضل خلف

ياد محمد



عبد الممنع المنزل

أصبح أبو القاسم الشابي ملء القلوب والاسماع بأشعاره الخالدة التي غناها في عمره القصير فأخذت تشق آفاق الادب فتزدهر بها دنيا العرب .

وقد أثبت الشابي وجوده الادبي منذ ان أخذت الصحافة المصرية تنقل قصائده الممتازة الى العالم العربي ممثلة في مجلة ابولو للدكتور أحمد زكي أبي شادي ، ثم سكت هذا البلبل عن التفريد عندما داهمه الموت وهو في ربيع العمر وبواكير الشباب .

ولم تتوقف الصحافة العربية عن اعادة نشر آثاره الخالدة بين الفنية والاخرى مدة عشرين عاما حتى ظهر اول كتاب عنه في المشرق العربي كتبه أبو القاسم محمد كرو الذي جمع اكبر مجموعة من آثاره الشعرية عرفت حتى ذلك الوقت ، فتنبسه الكتاب الى عبقريّة الشابي ، واخذت الدراسات الادبية عنه تتزايد حتى بلغت العشرات في المشرق العربي ومغربه .

ولست هذه الدراسات الادبية الكثيرة التي كتبت عنه هي وحدها التي طيرت صيته في آفاق العروبة كما قال بعض النقاد ، ولكن شعره الخالد العامر بالفن والابداع هو الذي جعل له هذا الصيت الطائر في الافاق الادبية ، بالاضافة الى تلك الكتب والدراسات الكثيرة ..

ويكني ان تذكر تونس في اقطار العرب لكي يقفز الى الذهن شاعرها الخالد ابو القاسم الشابي ببشيه المشهورين :

وَسَبَّحْنِي بِالْخُذِّ الْأَحْمَرِ
بِجَبِينِ كَالْبَدْرِ الْأَزْهَرِ
فَأَرَدْتُ الصَّبْرَ وَلَمْ أَقْدِرْ
بِفُؤَادٍ مِثْمَهَا الْمَضْطَرُ
مَنْ ثَغَرَ أَعْذَبَ مِنْ (كُوْثَرِ)
فَالْحُبُّ لَهُ شَأْنٌ آخَرُ
لَنَا مِنْهُ الْخَطُّ الْأَوْفَرُ

سَلَبْتَنِي بِالطَّرْفِ الْأَحْوَرِ
أَخَذْتُ قَلْبِي مَلَكْتُ لِي
فَتَكْتُ بِجَسَائِ لَوَاحِظَهَا
سَلَّ مَقْلَتَهَا عَمَّا فَعَلْتُ
نَظَرْتُ نَحْوِي ثُمَّ ابْتَسَمْتُ
أَنَا لَا أَدْرِي مَاذَا يَجْرِي
وَلَنَا ذَوْقٌ وَبِنَا شَوْقٌ

.....

لِلْبَعْدِ وَأَيْنَ الْوَعْدُ بِمَا يُذَكَّرُ
وَأَجَبْتُكَ جَبًّا لَا يُنْكَرُ
فَهَلْ يَمْتَدُّ لِي أَكْثَرُ

رَفَقَا يَا « دَعْدُ » إِلَى مَ
أَنَا مَفْتُونٌ بِكَ مَجْنُونٌ
قَدْ طَالَ الصَّدُّ وَجَارَ الْحَدُّ

لقد تردد ذكر القلب في شعر الشابي بصفة المفرد والجمع
مائة وسبعاً وتسعين مرة ، وجاء ذكر القواد بصفة المفرد والجمع
ثمانين وثلاثين مرة .

وليس القواد هو مدار بحثنا هذا ، ولكننا ذكرناه بصورة عابرة
لأن القلب والقواد شيء واحد ولأن الشاعر عندما يذكر القواد
إنما يعني القلب ، فيكون الشاعر قد ذكر قلبه وقواده مائتين وخمسة
وثلاثين مرة في شعره .

ولم نتطرق لذكر القلب في نثره لأن الموضوع هو (القلب
في شعر الشابي) .

ولا أزعم هنا أن هذا الحصر قد جاء كاملاً ، إذ ربما
فاتني كلمة هنا وكلمة هناك ، وأنا أدرس قصائد الشاعر .

والقلب في شعر الشابي حسبما أراه يمكن تقسيمه إلى ثلاثة
أقسام :

أما القسم الأول فقد ذكر في عرض الكلام كآية لفظة أخرى
يستعملها الشاعر وإن كان يغلب عليها جميعاً روح الحزن والنشأوم .
ويضم القسم الأول هذه القصائد :

خلة للموت — أبناء الشيطان — فكرة الفنان — غرفة
من يم — حديث المقبرة — أهب الليل — الحاني السكري — الاعتراف
— شكوى اليتيم — الدنيا المية — الرقيقة الذائبة — فلسفة الشبان
المقدس — الدموع — الذكرى — دموع الألم — مناجاة عصفور —
الطفولة — المساء الحزين — بقايا الحريف — في فجاج الآلام —
يا رفيق — إلى الموت — صفحة من كتاب الدموع — يا موت —
شجون — إلى غلاري — أفروبيت (يقسمها الأول والثاني) —
فيود الإحلام — وقصيدة بدون عنوان وتحمل علامة
استفهام ، ومطلعتها : أرى هيكل الأيام .

أما القسم الثاني فهو أعمق من القسم الأول نتيجة لشوة
نفسية عند الشاعر الذي يتحول الشعر عنده إلى أوتار حزينة
ترجع إنغماً يتردد صداها في أعماقه ، وهذا القسم الذي يتخاطب
فيه الشاعر قلبه ، تطفح به هذه القصائد :

أغنية الأحزان — الغاب — أغنية الشاعر — إلى الليل —
جدول الحب — الجنة الضائعة — نشيد الأمي — قلت للشعر —
أرادة الحياة — أغاني التائه — إلى الله — إلى قلبي التائه — أنسا
أبيك للحب — صلوات — هيكل الحب — الرثي ظل وادى
الموت — السعادة — من أغاني الرعاة — ذكرى صباح — تحت
الغصون — إلى الشعب — نشيد الجبار — إلى طغاة العالم —
والنبي المجهول .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن قصيدتي "دموع الألم" ، في القسم
الأول ، وإلى الليل في القسم الثاني ، هما قصيدتان غير مذكورتين
في الديوان وقد أتيتهما "توفيق بكار" في العدد الثامن من حوليات
الجامعة التونسية ضمن دراسة شاملة بعنوان "مشاركة في دراسة
أبي القاسم الشابي بمناسبة مرور ثلاثين سنة على وفاته" .

والقسم الثالث من شعر القلب عند أبي القاسم الشابي هو غاية
الغايات في هذا الباب إذ تتحول الانغماس في قلب الشاعر إلى ملاحم



إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي

ولا بد للقيد أن ينكسر

وليس هذا الحديث حديثاً شاملاً عن أبي القاسم الشابي
حتى نسترسل في الحديث عنه وعن قسه ، وإنما بهتاً ، في هذه
العجالة نتحدث عن القلب في شعره .

لقد فاضت اشعار الشابي من أعماق قلبه ، لذلك فليس من
الغريب أن تجده يكثر من مناجاة هذا القلب أو ذكره في كثير مما
نظم من شعر .

وأتار الشابي بشعرها ونثرها معجونة بدم القلب كما هو
واضح لكل متابع لها ..

والادب الخالد هو ذلك الذي يفيض من القلب ، بعد أن
صهرته الحياة بنارها المقدسة ، فيتهدى في الأفاق ليدخل في
كل قلب ينض بالحياة والحب والجمال .

لقد ذكر الشابي القلب في أربع وستين قصيدة ، وكرر
هذه الكلمة مرات في القصيدة الواحدة ، فإذا كانت قصائد
الشاعر في مجموعها هي اثنتان وتسعون قصيدة تبين لنا أنه لم يذكر
القلب في ثمان وعشرين قصيدة فقط ، وهذا هو ما استرعى انتباهي
وأنا أقرأ قصائد الشاعر .

تغنى أروع الاناشيد ، أنها ملاحم من شعر القلب ستبقى خالدة مع الأيام تردها الاجيال على مر الدهور ، وهذه الانعام تنبئ من قصائده :

« يا شعر - قلب الأم - الابد الصغير - قلب الشاعر - أكثرت يا قلبي فمأذا تروم - وإلى قلبي التائه » .

وليس من الغريب أن يموت الشابي يمرض القلب بعدما أنهكت الحياة بأسرارها العاضة ومضايقاتها المرهقة ، فقد أرهقت الأيام هذا القلب بما تحمله من هموم وارزاء حتى أصبح عليل لا يقوى على مجابهة شوؤن الحياة القاسية .

ولابد هنا من الإشارة إلى المقال القيم الذي كتبه الدكتور محمد فريد غازي عن « مرض أبي القاسم الشابي » في مجلة الفكر في عدده الثالث من السنة الخامسة ، الصادر في ديسمبر ١٩٥٩ ، ففيه يرى القارئ العلاقة بين مرض الشاعر وعبقريته .

فمرض الشابي هو الذي أوهم قواه ونال من قلبه الحساس كل منال حتى صرعه وهو في أول الطريق .

وكان قلب الشاعر يحوى كسل اسرار الحياة يهيموها ومتاعها ، ولم يقتصر هذا القلب الحساس على حمل شوؤن الحياة الحاضرة ، ولكنه شمل كذلك حيويا العصور الغابرة والقادمة بكل ما فيها من شوؤن وشجون .

فكم في قلب الشابي ، كما يقول في قصيدته « الابد الصغير » من دنيا عجبة ، وكم فيه من كوف قد اتقنت فيه الشمس وعاشت فوقه الامم ، وكم فيه من افق تنمقه الكواكب ، وكم فيه من قبر قد انطقت فيه الحياة وكم فيه من غراب ومن جبل ، وكم فيه من كهف قد انجبت منه الجدول ، بل ان قلبه كون مدھش لا يعرف الناس له آفاقا .

ونحيا في قلبه كما يقول ، في قصيدته « قلب الشاعر » كل ما هب وكل ما دب وكل ما نام وكل ما حلم على هذا الوجود ، من طيور وزهور وشدى ونباتيع واغصان وبخار وكهوف وذرى وبراكين ووديان وضياء وظلال ودجى وفصول وغيوم وروعود وتلوج وضباب واعاصير وامطار ، وتعاليم ودين وزوى واحاسيس وصمت ونشيد .

ان هذه الظواهر كلها نحيا حرة غضة السحر ، في قلبه كاطفال الخلود ، بل ان الموت وأطيان الوجود ترقص في قلبه الرجب العميق وتعصف احوال الدجى وتحقق احوال الورود وتبتفئ اصضاء الغناء وتعزف الدخان الخلود ، بل في قلبه تنمى الاماني والهمى والاسى في موكب فخم وفيه فجر لا ينتهى وليل لا يبيد ، بل ان فيه ألف خضم ثائر خالد الثورة ، مجهول الخلود ، ونحيا فيه كل آن صور الدنيا وتبدل من جديد .

ليس في كل هذا معان جديدة تستحق منا الاعجاب والتقدير والوقوف خاشعين في محراب الشاعر المقدس الذى ضم قلبه كل اسرار الحياة وغوامض الوجود ؟

وابو القاسم الشابي شاعر مثالي وان وجدت في شعره ومضات باهتة من التفاؤل ، فهي ومضات الامل الى لولاها لما استطاع

الشاعر أن يبقى لحظة واحدة في هذه الحياة .

وروح التفاؤل هذه تجعل قارئ شعره يصاب بالام وهو يساير الشاعر في رحلته الطويلة الشاقة عبر الالام في هذه الحياة .

وعندما يجد الشاعر ان الحياة ترهقه بالآلام يثقلت عليه رى موباسيا او معينا فلا يرى غير قلبه . وأرى ان الشابي عندما يتناجى قلبه يجد راحة نفسية في هذه المناجاة ، كان قلبه قوة اخرى منفصلة عنه ، قوة رحيمة تخفف عنه بعض ما يعانيه من الالام ، لذلك فهو يكثر من مناجاة القلب بهذا الشعر الذى يخفف عنه بعض ما يقاسيه من الازهاق .

وهو يعلم علم اليقين انه يصبر قلبه ولا يصبر آلامه ، ومن الامثلة على هذا ما ورد في قصائده - يا شعر - وإلى قلبي التائه - وأكثرت يا قلبي فمأذا تروم .

ولعل أروع نغمة موسيقية أبدعها الشابي في شعر القلب هي قصيدة « قلب الأم » هذه القصيدة التي تتحول إلى مأساة عنيقة بين يدى القارئ وهو يتلو فصولها الخريزة .

وقلب الام هو القلب الخنون الذى يشع في العالم البهجة والسرور لبشقى في الحياة .. انه القلب الذى يبعث الانوار في القلوب حتى يثقت النور في اعماقه .

وفي هذه القصيدة يصور الشاعر طفلا فارق الحياة فسيه الناس وشغلته الحياة عن ذكره ولم يبق الا قلب واحد على العهد ، ذلك هو « قلب امه » الذى يسمع الاصداة البعيدة لصوت هذا الطفل الراحل ، في خربير الساقية ورنه الزمزار ، ولغو الطيور الشاذية ، وضجة البحر المجلجل ، وهدير العاصفة ونبض الغابات ، وصوت الرعود القاصفة ونغمة الحمل الوديع .

والعجيب في القصيدة ، وبين المروج الخضر وفي آهة الشاكي ، وضوضاء الجموع الصاخبة ، بل في كل اصوات الوجود . ويرى قلب الام ، كما تصوره ريشة الشاعر ، هذا الطفل في صور الطبيعة ، في رقة الفجر الوديع في البالي الحاملة ، في فتنه الشفق البديع ، في لمعة البرق الخفوق ، في مشهد الغاب الكتب ، في ظلمة الليل ، في الكهوف العارية .

وتختتم هذا الحديث عن قلب الشابي ، بقوله في « جنته الضائعة » :

تمشى على قلبي الحياة ويزحف الكون الكبير وهو خلاصة ما ورد في حديثنا هذا .. ذلكم هو قلب

ابى القاسم الشابي الذى حقق بالحب والحياة ، وارسل نغماته الخبيصة تنهاتى في آفاق العرب مغاربا ومشارقا .

انه القلب الذى غنى حتى صهرته الايام .

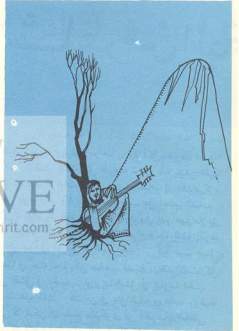
وانه القلب الذى وهب حتى صرعه الحياة .

لقد صهرت الايام وصرعت الحياة في الحقيقة ، قلب الشاعر الذى هو من لحم ودم . أما قلبه الاذى فهو خالد خلود الدهر مع قلوب العابرة الخالدين .

فأفضل خليف

الشاعر

فهد السمر الزير



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhr.com

كَلَيْتَ بِالْحَانِ الصَّابَةِ مُوَلَّعٍ
صَبَّ يَدَايِهِ الْجَمَالَ فَيَسْجَعُ
كَالْبَلْبَلِ الْغَرِيدِ لَا يَنْصَعُ
يُوحِي إِلَيْكَ بِيَانَهُ عَنْ رَقَعِ
وَيَذِيبُ فِيكَ الْأَنَسَ وَهُوَ الْمَوْجِعُ
يَسْقِيكَ كَأْسَ الْحَزَنِ وَهُوَ مَغْرَدُ
وَالِى الْحَقِيقَةِ وَرَدُّهُ وَالْمُتَرَعُ
تَشْوَانُ مِنْ خَمْرِ الْحَشَاشَةِ نَسْجَةٍ
سِحْرٌ ، يَفْرَقُ مَا يَشَاءُ وَيَجْمَعُ
فِي صَعْتِهِ سِرٌّ وَفِي انْشَادِهِ
فَإِذَا الْوُجُودُ بِنَظَرِيهِ يَجْمَعُ
يَرْنُو إِلَى الْإِفْتِقَادِ الْبَعِيدِ بِلَحْظِهِ

* * *

بَشَرًا نَرَاهُ فَمَا يَرَوْعَكَ مَظْهَرُهُ
مِنْ شَكْلِهِ وَكَأَنَّمَا هُوَ بَلْفَعُ
حَتَّى إِذَا فَصَّصْتَ مَدَامِعَ قَلْبِهِ
وَطَفَعِي الشُّعُورَ وَمَا لَذَلِكَ مَدْفَعُ
يَهْدُكَ كَالْجَلِيلِ الْأَنْثَمِ مَرْمَعًا
صَمْتُ الْوُجُودِ وَأَيْنَ فِيهِ الْمَفْرَعُ



شاعر من البحار

عنه الله يفيض حيوية ويفيض مرحا .. ولم أكن اعرف تفسيرا لهذا الانجاء .. فقد كانت كل ظروفه توحى بأنه يعيش مركزه دون عيب، ودون الترامات من أى نوع .. يضاف إلى ذلك مركزه الاجتماعي المرموق .. وكونه مازال يزحف على اعقاب الشباب وإذا جاز أن يقال بأن بعض الناس يولدون وفي افواههم ملائحة من قهقهة، أقال غازی بنضوى تحت لواء هذه القبة المرفقة التي لم تدخل ابداً في صراع مع لقمة الخبز .. كما عبت على الشاعر ايضا في حينه انه لم يكن صاحب قضية .. فقد كانت كل قضيته هي القتل في الحب .. او ربما القتل في ممارسة الحب .. واستكثرت عليه ذلك .. فان من في مثل شبابه ووسامته ووضعته الاجتماعي لا يمكن ان يفسح بالشكوى من الحرمان العاطفي .. ذلك كله قلته عندما صدر أول ديوان للشاعر ، واليوم أعود من جديد لأكتب عن ديوانه الثاني « قطرات من ظمأ » الذي صدر منذ شهور ..

و « قطرات من ظمأ » يضم ثلاثا وعشرين قصيدة .. منها ما كتب بالطريقة المعمودية .. ومنها ما كتب بالطريقة الجديدة .. ولدى قراءتي للديوان قصيدة قصيدة .. أحسست أن ما قلته عنه قبل أربع سنوات وما عنيته عليه في « أشعار من جزائر اللؤلؤ » يجب أن أقوله مرة أخرى .. فغازي الشاعر المشائم اليأس في « أشعار من جزائر اللؤلؤ » بطل علينا من جديد بثوبه القديم في ديوانه الجديد .. رغم بعض القصائد التي أفلتت منه فجاءت تعميرا يكاد يصل إلى مرحلة الصدق الكامل ..

كما قلت .. الضياع والشكوى والبرم واليأس هي كل عدة غازي في « قطرات من ظمأ » حتى الاسم الذي أطلقه على

منذ أكثر من شهر وأنا أحاول أن أجِد فرصة للكتابة عن الشاعر البحراني غازي عبد الرحمن القصيبي وعن ديوانه الأخير « قطرات من ظمأ » .. وفي كل مرة أعجزم ذلك الرائي .. في غمرة مشاغل الخاصة - مضطرا لتأجيل الكتابة .. وكل مرة أفصل ذلك أشعر بالندم .. ربما لأنني كنت في فترة من فترات حياتي قريبا من الشاعر .. استمع اليه كثيرا .. واستمتع بشعره أكثر .. ولعل الامانة تدعوني الآن ، أكثر من أى وقت مضى ، للكتابة عنه رغم فاصل الزمن الذي يمتد إلى عشر سنوات منذ آخر مرة رأيت فيها الشاعر .. ورغم فاصل المكان .. ولعله ليس من الغرور أن شئ أن اقول بأنني أشعر أحيانا بأنني ملزم بأن أكتب عن الشاعر لأسباب أهمها ان ولادة شاعر على شفاف الخليج العربي ليس امرا عاديا ، خاصة بعد التحلل الفكري الذي جمده الكلمة الجميلة وحبسها عن الانطلاق فترة امتدت أكثر من عشرين عاما ..

انطلاقا من هذه المقدمة فاني أدعو القاصي معي في جولة - قد تكون سريعة ولكنها ضرورية - برفقة الشاعر غازي القصيبي ..

قبل سنوات - ربما أربع - صدر أول ديوان للشاعر يحمل عنوان « أشعار من جزائر اللؤلؤ » كان باكورة أعماله في ميدان الشعر .. واذكر انني كتبت للشاعر يومها رسالة خاصة ضمنتها رأيي في الديوان بما لا يخرج عن ان الشاعر وضع نفسه في اطار معين لم يخرج عنه .. هو الشكوى والتبرم بالحياة وبالبحر وبالرأم .. وعبت على الشاعر ساعتها هذا الانجاء المشائم ، رغم انني اعرف

رين .. وقطرات من ظمأ

نقد وتعليق : علي السياري

أخرى من الطقليات المشلولة ..
ولكن غازي لا يقف عند هذا المفهوم .. فان الرؤية تضع
منه .. ويفقد الوضوح والتعبير في قصائد أخرى .. ويمارس الضياع .
واكاد احس وأنا اعر القصائد في « قطرات من ظمأ » قصيدة
قصيدة .. ان الضياع هو قضية غازي :
التي الجبل حتى مقصدي
أنا في قصر حياني ضائع
سار في الركب بخطو مجهد
لنسي الليل فما ادري وقد
وجد النور .. بماذا اهتدي
اين امضي ؟ .. يا سؤالا لم يزل
ظامنا .. يقرع سمع الايد .
هذه الرحلة .. ما أغربها ..
أترى ندرى مداها في غند ؟



واذا كان الضياع -
كما احسسته انا - هو
قضية غازي . فان
الخرمان هو الطابع
الذي يسود قصائده
.. وفي تساولاته الكثيرة
التي طرحها على نفسه
نراه يكشف سر هذا
الخرمان في

الديوان يحمل هذه البصمات .. ولو قد صدق غازي مع نفسه
أكثر لأبدل اسم الديوان من « قطرات من ظمأ » إلى « قطرات
من ضياع » ..

ولكن لماذا يشكو الشاعر .. ومن ؟ هل هو يشكو البعد عن
الوطن ؟ وهل تلك هي مأساته الحقيقية ؟ ربما .. ولكن ذلك غير
واضح تماماً .. فان احساسه ببعده عن وطنه يتداخل احياناً مع
احساسه بالفشل في الحب .. او ربما الفشل في ممارسة الحب بالطريقة
التي يفرضها المجتمع وبالصورة المشوهة التي تضع معها الكرامة
الانسانية بكل ابعادها ..

في شرقنا لا يكرم الحب ولا يهان ..

لا يمدح لا يذم .

لكنه يعيش في الظلام .

في نظرة خلف القصاب .

في همسة تلحمت وراء فم .

في ناهدين ارتعشا .. تحت الثياب ..

في شرقنا لا يعرف الحب الضياع .

الا اذا باركه دق الطبول .

ان المرأة هنا في نظر غازي قضية لها عمقها ولها فلسفتها ..
فهي ما زالت رهينة السجن الذي شيدته لها آلاف القرم المرسبة
في اعمقنا .. انها كائن غير موجود - اذا صح التعبير - فهي
تعيش بقانون الحركة فقط .. ولكنها تموت كل يوم بقانون القصاب
وبقانون الظلام الذي يعيش في رأسها .. وبقانون الطبول الذي
تختم به مأساتها كإنسان حيث تبدأ رحلة أخرى في طريق
الظلام .. رحلة ان تبيض وان تفرخ وان تملأ الحياة بطواير



هكذا .. ويمتدتي البساطة يصل غازي الى الطريق المسدود ..
وبعد اذ لم يعد في مقدوره ان يستوعب الوجود .. لا يجد
مناسبا من ان يتوخي الرحيل .. يتوخاه بسلبية .. بل بالاغراق
في السلبية .. انه الحل الاوحد لعبء وجوده .. وغازي
هنا ربما كان صادقا مع نفسه اثر لحظة انفعالية مشحونة باليأس
والالم وعبء الوجود العاث اللاهي .. وهو يكرر هذا المعنى في
اكثر من قصيدة .. وفي اكثر من مكان .. ولعل اصدق ما يعبر
عن سلبينه وهزيمته قصيدته « سأسكر » التي يبلور فيها
هذا المعنى بصورة تكاد تصل الى مرحلة الشلل التام :

سأسكر حتى ارى عالمي المشوه حث الخطى وارتحل

ولكن سوألا آخر يثور في نفسي .. ترى الى أي مدى تصدق
سلبية غازي من خلال شعره ؟؟ يخيل الي احيانا ان السلبية في
اغراقها تتحول الى عمل ايجابي شجاع لا يقدر عليه الا اناس
على قدرة خارقة في مواجهة اللحظة الفاصلة .. تماماً كما يتحجر
حين يعجز عن مواجهة المجتمع .. ولكنه لا يعجز عن تحدى
ومواجهة الموت .. ترى هل يصح ان يكون غازي واحدا
من هؤلاء ؟ ليس من اليسر الاجابة على هذا السؤال .. فالفرصيات
هنا امر غامضة في التعقيد ..

وهو يتغنى بمحبوبته .. ولكنه غناه حزين تحس فيه مرارة
الحرمان ومرارة اليأس .. ومع ذلك فانت حين تجلس اليه
لا تكاد تفتن شيئا من هذا الحرمان .. انه يبدو حينئذ شيئاً آخر
تماماً .. هل يعني ذلك انه يعيش حياة مزدوجة ؟ حياته
اكثر من فكرة .. وحياته في واقعها الكلمات التي تنبش في رأسه عن فكرة ..
ايسة فكرة .. وحياته في واقعها وهو يواجه المجتمع
والناس والحياة ؟؟ ..

ربما ليس من الصواب الحكم على الشاعر من خلال شعره
الذي ينشره على الناس .. فكما ان لكل منا اهتماماته الخاصة
التي يعجبها عن أعين الآخرين .. فان للشاعر كذلك ذنياه
الخاصة الاخرى التي لا يسمع للآخرين بولوجها .. خصوصاً
اولئك الذين لا تربطهم صلة من قرابة أو صداقة .. ومن هنا
من معرفتي بان غازي يقول شعرا آخر غير ما نشره في « أشعار
من جزائر القوّل » و « قطرات من ظمأ » فاني ان اكون صادقا
مع الحقيقة لو أهملت غازي - من خلال ما ظهر علينا من شعره
قطر - بأنه يعيش قضية الضيق بكل ابعادها ..

هل يصح اذن ان نزع بانه يعني عندما يتغنى بمحبوبته محبوبة
أخرى غير ما تعارف عليها الناس ؟.. هل يعني وطنه ؟.. لعل
ذلك يبدو - لي شخصياً على الاقل - بأنه اقرب الى الصواب ..
فأنا اعرف ان عنده الكثير من الشعر الذي لم ينشر بعد .. او نشر
باسماء مستعارة .. وفي هذا الشعر يعالج غازي قضية .. ويرفع
شعارا معنا .. بل اعرف كذلك انه من الشباب الواعي الذي تهمة
قضايا وطنه وامته بقدر ما تهمة قضاياء قلبه واحاسيه الذاتية
المحض .. وربما كان عذره في عدم ابراز نفسه كشاعر - اذا جاز

سانسي في عتاب
ماذا وراء اكتسابي ..
وقدم اشكو الليالي
والعمر غصن الاهاب
وقدم والارض أرضي ..
احيا رهين اغتراب
وما لشعري تمليه
حشرجات عذاب
غريرة القلب مهلا
فلست تدرين ما بي
أنا أمامك .. لكن
دنياى خلف الضباب
شكواي اتي سجين ..
في عالم من تراب ..
وان درب ظنوني
لا ينتهي عند باب
وان ما ابتغيه
يفوق ظن طلابي
وان اهواء قلبي
خداعة كالسراب
وانها تلافئي
كانها من حباب

ومع ذلك فانه احيانا يعرف ابن يتجه وفي أي طريق
يسير .. ولكنه رغم هذه المعرفة نراه يتوه في بحر الضيق ..
فهو يسأل نفسه لماذا يعيش .. ولماذا يودع عاما ليستقبل
عاما آخر .. انها التساؤلات الخالدة نفسها التي عبرت
الحياة جيلا بعد جيل .. على السمة الشعراء .. وعلى
السمة الفلاسفة وعلى السمة المفكرين .. منذ سقراط .. ومروا
بالعري .. حتى ايليا أبو ماضي .. وكأضاق اولئك بالسؤال وقضوا
دون ان يلجوا باب السر الكبير .. كذلك يضيق غازي .. بل ان
غازي فوق ضيقه بالسؤال يضيق بحياته :

اهي .. سألتك .. خذني اليك
فان حباتي ضاقت علي ..

التعبير - هو الجو السياسي المشحون المتوتر الذي يسود المنطقة العربية .. خاصة المنطقة التي ينتمي اليها الشاعر .. ومع ذلك ففي « قطرات من ظمأ » لمحات سياسية مضنية .. وقصيدته « لوس انجلس » تدل على الشاعر وعلى حسه السياسي رغم أنها صيغت في قالب وجداني :

سأكتب عنك يا عملاقي

المغرورة .. البلهاء

سأكتب عن ضبابك .. عن

شور دروبك السوداء

وعن قلبك لم يبيض

وجف كصخرة صماء

وعن صنم تقلدسه

عقولك .. اسمه الالراء

سأكتب عن اماسيك

الكثيرة حين تخلص الدار

ويتخلل ليلك المحموم

بالاصحاب .. والزوار ..

وحتى الجار .. يصمت عن

« مساء الخير » .. حتى الجار ..

ويلتصق الضباب على

الوجوه .. كلجنة الاقدار ..

هكذا يصف لنا لوس انجلس .. ويقتا انه لم يكن يقصد لوس انجلس بالذات .. أنها هنا رمز للحياة المتبدلة المتحركة والقلوب الضم التي لم تنبض يوماً بالحب ، والمال الذي يعبداه الشعب الأميركي ويتخذ منه صنماً يقده من دون الله .. فأمريكا كلها لوس انجلس .. وإذا عرفنا ان الشاعر قضى ارجحاً من عمره في امريكا لتكملة تعلمه الحقوق ، ادركنا سر انفعاله ومشاعره الغاضبة تجاه قوم لم يعودوا يؤمنون الا بالكذب ملفوفاً في ثوب من السيمات .. و (حتى الجار يصمت عن « مساء الخير » حتى الجار) ..

هل يكفي ذلك لتعرف ابن يقف غازی من نفسه ومن الناس ؟ لنسمع اليه في مقاطع من قصيدة اخرى « اعترافات » يعلن لنا فيها سر صمته .. وسر دورانه حول نفسه :

عن امي حين اشدو

من موطن المجد مجد ؟

في ذلك الركب أعدو

بضم عمري ولحد

اروح فيه واغدو

لاحت غمام ريد

يدعو فير كض حشد

فيها تحجر حقد

والافق جمر ورعد

وفي جفوني مهد

وللمسافر حد

سأني فيم صمني

لم يحرك غشائي

غريزة القلب اتي

في تربة العرب مهد

لكن دربي طويل

اذا نيسم فيجر

في الافق الف سراب

ولردي الف عين

فاين ابن طريقي

وفي عيوني رمل

والبيد من غير حد

هل هي حالة اليأس يمر بها الشاعر فلا يستطيع ان يقفز فوقها ؟ انه هنا يحدد موقفه من الدنيا التي تتحرك حواليه وهو يطلق في موقفه هذا من متطلقين :

الموقف الأول :

في تربة العرب مهد

بضم عمري ولحد

الموقف الثاني :

فاين ابن طريقي

والافق جمر ورعد

أهما كما نرى موقفين متناقضين .. ومع ذلك فان غازی يجمع بينهما ببراعة الشاعر الذي يملك ناصية الكلمة ويخضعها لظروفه. ولكن هذا ليس هو كل سره الكبير .. هناك سر آخر لعله اكبر اسراره الذي يفسر به وجهاً آخر من مواقفه تجاه الآخرين ففي قصيدته « خذني اليك » نجده يصل الى مرحلة اليأس الكامل .. وهو يأمل له مبرراته وله فلسفته :

الهي سألتك خذني اليك

فان حياتي ضاقت علي

ولو طال يارب فيها بقائي

سأصبح يارب كالآخرين

سأصبح وحشاً يحب الدماء

ويقعد خنجره في الظهور

ليخطفني بأمنية سافلة ..

هنا بكاد غازی يفتح نفسه ويبلور كل فلسفته في كلمات حادة قاطعة لا تقبل تأويلاً متناقضاً .. انه يقف من (الآخرين) موقف المتفرج الخزين على مذبحة كبيرة .. وهو يرفض ان يكون « محبلاً بالمشاعر » وهو في رفضه هذا لا يتخذ جانب الانجائية. ولكنه يفرق في السلبية لدرجة غير محتملة :

الهي سألتك خذني اليك

فان حياتي ضاقت علي

انه موقف انهزامي مغرق في الانهزامية وانهزاميته هذه يفسرها مقطع آخر من القصيدة نفسها « خذني اليك » :

تعبت من الجري خلف السراب

من البحث عن واحة في الخيال

وماذا اريد ؟..

مصابي اتي اتي أجهل ماذا اريد

ومن هنا لم استغرب ما قاله في جريدة « صوت الخليج » لندوبها في البحرين قبل اسابيع .. لقد قال بالنص الواحد :

« الشاعر ليس له اية رسالة في الحياة وهو يقول شعراً متى شاء ويعبر عما يجيش في نفسه »



آه كم كنت غريباً عندما خلت ان الحب ميلاد جديد
وبعدھا ينتقل الى الفلسفة :
انني اجهل حتى مقصدي اعنى انني لم اولد

الى ان يقول :

يعجز العلم وتعبا الفلسفة في جواب نشئي ان نعرفه
ما الذي نغيبه ما بال القنى ضائعاً ما عاد يدري هدفه
هذه الاشواق ما اسرارها حين تحتاج النفوس المرفقة

الى آخر هذه القصيدة .. ومع ذلك فاني يجب ان اعترف
لغازي بان عنده مقدرة فائقة على ربط اكثر من موضوع واحد
في القصيدة الواحدة ..

يبقى بعد ذلك ان اشير الى قدرة غازي على ابتكار المعاني التي
لم يسبقها اليها شاعر .. ومن تعابيره الجميلة « والشمس تحترق جبهتي
جمراً » و « أين امضي يا سؤالا لم يزل ظلاماً يقرع سمع
الايد » و « أنا لست مثل الحالمين احلام حيك من يقين »
وكلمات حية نابضة أخرى لا يتسع المجال لذكرها ..

وغازي يكتب الشعر بالطريقتين - العمودية والجديدة .. وانا
لا اعرف لماذا يصير غازي على النظم بالطريقة العمودية فان شعره
حين يتخلص من الوزن والقافية الواحدة يكون وقع واجمل ..
ومن قصائده الرائعة التي كتبها بهذه الطريقة على سبيل المثال : في
شرقنا - لا نقولي - لوس الجلولس - خذني اليك - بلا موعد -
يكفيننا ..

وبعد ..

أنا لم اقل كل شيء عن غازي القصيبي .. كما انني لم اعط
صورة واقعية للقارئ عن شعره بقدر ما حددت اتجاهاته .. وانه
لن المحم ان يرجع القارئ الى شعر غازي نفسه ليدرك خصب هذا
الشاعر فان المجال هنا لا يسمح باعطاء امثلة كثيرة ..

كلمة أخرى أريد ان اقولها قبل ان اطوى صفحة هذا النقد ..
فقد قال غازي ضمن حديثه مع « صوت الخليج » ان بعض
الناقدین الذين تصدوا لنقد ديوانه ، ناقد اراد ان يكون ديوانه اداة
لقضايا .. وقال معلقاً بان الشاعر يعبر عما يعيش في نفسه وانه
لذلك يجب ان يتناول ديوانه ناقد صريح بعيد عن العاطفة والصدقة
وان تكون الدراسة موضوعية ..

ورجائي ان اكون قد حققت ، رغبته بهذا النقد .. كما ارجو
ان لا يظن بما جاء فيه من آراء قد لا تتفق وما يراه هو .. وانا احب
ان اعترف له وللقراء بانني لم استطع ان اخلص من ربط الصدقة
الذي يشدني اليه فترة من الزمن هي الفترة التي تسبق العطاء .

وغازي قد يكون صادقاً مع نفسه فيما ذهب اليه .. ولكنه
غير صادق مع الحقيقة .. فان الشاعر جزء من مجموع ، وهو مرتبط
بهذا المجموع ارتباطاً نفسياً وعضوياً وتاريخياً وانه لمن الشاذو حقاً
ان يكون هذا الجزء شيئاً منفصلاً عما يدور حوله بحيث لا تتبره
اهتمامات الآخرين ولا تطلعاتهم ولا احلامهم .. من اين ينتج
الشاعر شعره اذن ؟ ان ذاته هي ذات المجموع ومما عدا ذلك

فاستطاع يرفضه المنطق ويرفضه الانسان داخل الانسان .. انه
موقف لا مبرر له الا انهم الا اذا كان غازي يريد ان يعطي مبرراً
لسببته . هذا عن الشاعر .. فماذا عن الشعر نفسه ؟
استطاع ان اجزم وانا على درجة كبيرة من الاطمئنان الى ان
غازي طاقة شعرية لم تنفجر بعد ..

وحين يخرج غازي من نطاق ذاته وحين يدع - مشاعر
الآخرين - تحرك قلمه وتبر وجدانه بقدر ما تبره مشاعره الخاصة ..
فان سلطان الخليج ستغي معه وستكون صدى هز السكون وبثير
الزواجع على امتداد صفحة المياه الكثيرة الزرقاء .
واذا كان لي من كلمة اقولها لغازي وانا احاول - قدر جهدي
المواضع - ان اقم شعره .. فهو ان اطلب منه ان يعني بوحدة
القصيدة .. انه يحتاج - في رأبي - الى تصوير اللحظة المشحونة ..
ذلك انه كما لاحظت من خلال « اشعار من جزائر اللؤلؤ » و
« قطرات غزالي » يتناول اكثر من موضوع في القصيدة الواحدة .
واضرب مثلاً على ذلك « أغنية قبل الرحيل » فقد بدأها بالحديث
عن حبه وعبر عن قلقه على هذا الحب .. ثم يصل الى مرحلة
الكفر بنحبه :

خَلِيل السَّكَاكِينِي

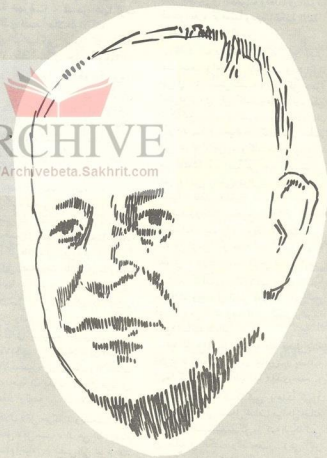
أديب وهب حياته لتربية أجيال أمته

بقلم : عيسى الناعوري

ما بين عام ١٨٧٨ وعام ١٩٥٣ ، مرحلة من العمر مذاها خمسة وسبعون عاماً ، قطعها خليل السكاكيني ، ابن قسطندي السكاكيني ومريم حرامي ، بين فلسطين واهيركا ، ومصر ، وقد بدأها بولادته في القدس ، وختمها بوفاته في القاهرة ، وبين الولادة والموت كان جهاد الدرس أول المرحلة ، ثم جهاد العمل والادب والتدريس حتى نهايتها .

كانت دراسته في القدس ، في المدرسة الانكليزية ، وفيها تتلمذ على استاذ ذلك الجيل ، المعلم تخله زريق ، الذي بث فيه وفي جيله حب اللغة العربية ، والروح الوطنية وقد ظل خليل يذكره بالحب والاحلال طوال حياته . ونشأ خليل مطبوعاً على حب لغته العربية ، متمكناً منها ومن آدابها ، كما نشأ على التدريس ، حريصاً على ان يث روحه الوطنية والانسانية في اجيال امته العربية : في فلسطين التي قضى فيها الشطر الاكبر من عمره ، وفي القاهرة التي قضى فيها شطراً آخر غير قليل من حياته ، فكانت وطنه الثاني ، وكانت في النهاية مقر راحته الاخيرة . كانت حياة السكاكيني قدوة للآخرين

في كل شيء : في الوطنية الصادقة ، وفي الانسانية الرحيمة ، وفي التربية القويمة ، وفي الحفاظ على الصداقاء ، وفي الفضائل الخلقية



المسري

تحت أقل ضيق ، وتفتح بالدون ، وترضى بالكفاف ، في نفس مريضة مهزولة مفلوجة القوة ، القوة ، هذا هو التعليم الجليد الذي

يجب ان ينشر به .

وهو يكرر هذه المعاني في خطبه ، ومحاضراته ، ومقالاته ، ورسائله العديدة المنشورة في مؤلفاته ولا سيما جزأى كتابه « ما تيسر » ، و كتابه « سرى » الذي يتضمن رسائله الى ابنه سري حين كان بدرس في اميركا ، وكذلك في الكثير جدا من يومياته المنشورة في كتابه « كذا أنا يا دنيا » .

وهذه المعاني كذلك كان يبثها في طلابه حين كان مفتشا في معارف فلسطين ، ومديرا لدار المعلمين في القدس ، ومعلما في المدرسة الدستورية ، ثم معلما ومديرا لكلية الامة ، وكلية النهضة في القدس .

كانت التربية لدى السكاكيني تعيش تحت سقف واحد مع الادب ، ومع الحياة فهي في كل نفس تنفسه ، وفي كل خطوة يخطوها . وفي كل كلمة يخطها ، ولم يكن السكاكيني يدعو الى السرور والقوة دون ان يسير عليها في حياته ، كان قوي الجسم حتى طواه الاجل ، وكان مرح الروح ، حتى البشاشة ، راضيا عن حياته في حالتي الفقر والغنى ، حتى تواترت عليه النوايب القاسية : فقد رفيقة عمره ، سلطنة . ثم فقد بيته ووطنه ، وخرج شريدا الى مصر ثم فقد ابنه « سري » ، وقد بعد ذلك بصره مدة من الزمن ، واخيرا استراح من جهاده الطويل ، وورد رقدته الاخيرة الى ارض مصر بعد ان ادى رسالة الادب والتربية عمرا طويلا ، وترك الى الناس آثارا لا تنسى من أدبه ، ومن آرائه ومبادئه في التعليم والتربية ومن انسانيته السامية .

أما آثاره الادبية والفنية فقد قامت لجنة تكريم ذكره بجمعها في مجلدين ، يضاف اليهما كتاب « كذا أنا يا دنيا » الذي جمعت فيه كرمته ، هالة السكاكيني « عددا كبيرا من يومياته ، التي تسجل مختلف مراحل حياته ففي هذه الكتب الثلاثة كل ما كتبه السكاكيني في حياته في الكتب والصحف . وهي آثار قيمة ، وجديرة بالدرس ، وجديرة فوق ذلك بالانقضاء .

في احدى يومياته ، وتاريخها ١٩-١٩١٩ يقول ان مدير المعارف ، الماجور تدمن ، قد استدعاه وتحدث معه عن نوع المدارس التي تحتاج اليها البلاد ، فكان جواب خليل : « ان المدارس التي تحتاج اليها مثل المدارس في اوروبا ، بساكن اطفال ، فمدارس ابتدائية ، فمدارس ثانوية ، بشرط ان تكون مدارس حقيقية ، لا بالاسم فقط .. وان يكون التدريس فيها مجردا عن كل تأثير ديني ، او جنسي ، او سياسي . يجب ان تكون المدارس امينة للعلم .. اننا نحتاج الى مدارس تبث في التلاميذ روح الحرية ، والاباء ، والاستقلال ، والشجاعة ، والصدق الى غير ذلك من المبادئ التي تنهض بالامم من وهدة خمولها ، فتفتش عنها ثوب العبودية الذي لبسته اجيالا طوالا . »

وكان السكاكيني يؤمن كل الايمان بمذاهبين ، وبشر بهما في حياته ، وهما : -

السرور ، والقوة . وفي هذا يقول في يومياته بتاريخ ١٣-٤-١٩١٨ : « اني اشفق على اولئك الذين لا يعرفون السرور في حياتهم ، لا يستطيعون الايمان الا بوجوه مقبحة ، واخلاق قبيحة . فيزعجون انفسهم ويزعجون للناس ولا بد ان يكون ذلك ناشئا من مرض في بعض اواني الجسم ، ثم يعززون بالسلوك الذي يسير عليه في حياته الخاصة فيقول :

« أقوم من النوم فأحس انني تلذذت في نومي والعاب فأحس انني تلذذت بالعاب ، واستمحم فأحس ان السعادة كلها في الاستحمام بالماء البارد ، وأكل فالتذذ في أكل ، ولو كان خبزاً يابساً .. اقبال الصعوبات فألتذذ في مقاومتها والتغلب عليها ، وتلم ببي المصابب فافترى بالصبر والتحمل ، بل اكاد ائذ بما اكتشفته من الدروس والعبر » .

ويقول في يومية اخرى بتاريخ ١٨-١٢-١٩١٧ : « العالم يحتاج الى اصلاح كبير ، والا فمضيره الى الضعف والانعطاط والزوال ، يجب ان يكون الانسان قويا في جسده وعقله ونفسه .. ان الاجسام التي يتولاها الكلال لأقل حركة ، وتضعف لأقل مؤثر ، وتختل لأقل سبب ، ان هي الاجسام موق لا اجسام احياء .. والنفس التي تجزع عند اقل مصيبة ، وتجنح أمام اقل خطر ، وتضع

الرفيعة . وكان يترك من روحه هذه آثارها العميقة في نفوس اصدقائه وعارفيه ، وفي نفوس تلاميذه وزملائه . وكان المرح والبشاشة من المزايا الحلوة الانسية التي اشتهر بها طوال حياته : كان يضحك بلل حين يجزته فيعدي الآخرين بضحكته . وكان حريصا على ان يملأ حياته وحياة الآخرين بالضحك والمرح والبشاشة .

وفي أواخر عام ١٩٠٧ ، وكان عمر خليل حينذاك نحو تسعة وعشرين عاماً ، هاجر خليل السكاكيني الى اميركا سعياً وراء الرزق ، ولكنه لم يلبث هناك أكثر من ثمانية اشهر ، عمل فيها في المصانع ، وفي اعطاء دروس خصوصية في اللغة العربية لابناء المهاجرين العرب ، ولكنه لم يوفق في عمل ناجح ، فعاد منها الى القدس في شهر ايلول عام ١٩٠٨ .

وفي شهر كانون الاول عام ١٩١٧ سبق الى سجن دمشق ، لانه آوى في منزله رجلا جاء يستجير به ، دون ان يعرف انه يهودي اميركي - وكانت الحكومة التركية تعتبر كل من خبا اميركيا ، عمدا أو بلا عمد ، جاسوسا ، كما يذكر خليل السكاكيني في احدى يومياته التي يصف فيها سوقه الى السجن - وقد قطع هو ورفاقه المساجين الطريق مشياً على الاقدام ، مدة اربعة ايام من القدس الى عمان ، ومنها ركبوا القطار الى دمشق ، وبقي في سجنه نحو شهر من الزمن ، ثم اخرج منه بالكفالة ، فأقام في دمشق سبعة اشهر ، وكانت الثورة العربية بقيادة الحسين بن علي واتجاهه ، قد عظم امرها ، ففر خليل مع رفاقه ، في شهر آب عام ١٩١٨ ، وقطعوا الصحراء متخفين حتى وصلوا الى مقر الامير فيصل لينضموا الى الثورة .

وفي عهد الانتداب البريطاني عمل خليل مفتشاً في ادارة المعارف ، وفي الوقت نفسه كان يدعو ، مع عدد غير قليل من رفاقه البارزين في الجامعة العربية ، وحرية الشعب الفلسطيني ، والقضاء على الحركة الصهيونية . وهنا المجال لتحدث عن خليل السكاكيني

سلوى القلب

شعر: عبدالمحسن العرفانجي



ونقت الويل من طول البعاد
وقرح أجفني طول السهاد
وهمت معذباً في كل واد
أما للوجد عندك من نفاذ ؟
وهل للعين بعدك من رقاد ؟
أردت الوصل ، لم ينجز مرادي
جسيم ليس يطفأ بابتعاد ؟
أم الاحباب قد جحدوا ودادي
لترقص كلما ذكرت سعادي
يؤرقني ويذهب بالرشاد
لأسمع همس ثغرك لي ينادي
عناق الحب في يوم الوداد !

تعال ، فالهوى اضنى فؤادي
وحل بي الاسى وأذاب قلبي
كتمت الحب حتى عيل صبري
يقول العاذلون كفاك وجدا
وهل للقلب بعد الحب مأوى ؟
سلبت القلب راحته ، ولما
أهذا الحب في شرع العذارى
أم الايام ليس لها أمان
احبك « يا سعاد » وان روحي
تعال ، فالفؤاد به حنين
هيبني القبلية الكبرى ، فاني
فلا سلوى لهذا القلب الا

الشعر في القرن الحادي عشر

بقلم : عبد العزيز الفنديب

في الوصف ولا سيما بيان ما في الحياة من آيات الحسن
الاخاذ ، واطهار مفاتيح الطبيعة الخلابة ، بكل ما في هذه
الكلمة من معنى .

اجل . ان شعر المعنوي ترجمة حية لمظاهر الطبيعة
الساحرة بكل قوة وتقدرة في التعبير والاعراب تتم عن
شاعريته الاصلية وبوهيته الفنية العظيمة . فانتعاشاته
الذاتية عن الحياة في صورها الجمالية العديدة ليست
تنجس سطحيًا بل انطلاقًا فذة . او لنقل مرحلة يصل
اليها شعر الوجدان خلال سيره عبر عصور الادب
العربي بل العالمي . . فما اسخيلوس اليوناني (٥٢٥
١٤٥٠ ق م) في قوة خياله وعمق عاطفته ومئاته
اسلوبه وروعة فنه باجود قولًا ولا احسن بيانًا بمن
شاعرنا العظيم هذا الذي نؤرخ له ونكتب عنه . والذي
يبلغ الذروة القصوى في فن الوصف وهو اللون الغالب
على شعره وان كان له في غيره . من الاغراض طول باع
فهو لدى الفخر والمدح والنسيب والهجاء والثناء والحكم
فارس المضمار وحامل اللواء وصاحب القدرح المعلى . .
له في المدح غرر القصائد وفي الغزل درر مرثد وفي الفخر
روائع ومن المواعظ بدائع . وياتيك في هجائه باقذع
السباب في المعاني وفي رثائه بالعجب العجائب في
المضامين والبناني . فمن قوله يفخر :

إِنِّي لِمِنْ أَهْلِ بَيْتٍ
شِئِمَ الْقَرَانَيْنِ غُرَّ
مَنْ يَلْقَاهُمْ وَهُوَ ظَامٍ
السِّي نَوَالٍ وَبِرٍّ

من شعراء المائتين الرابعة والخامسة للهجرة في
مصر ، اديب مبدع وشاعر عظيم هو ابو الحسن علي بن
الحسين المعنوي نسبة الى عقيل بن ابي طالب ، رضي
الله عنه .

عاش في العصر الفاطمي الذي شهد نهضة عارمة
شملت جميع نواحي الحياة الفكرية والعلمية والادبية ،
فكان عصر ازدهار الادب والفكر حيث برز فيه جمع
غفير وعدد غير قليل من كبار الشعراء والفلاسفة
والعلماء والكتاب ، ذكر بعضهم المعتمد الاصفهاني في
كتابه « خريدة القصر وجريدة اهل العصر » والشاعلي
في « بتيمة الدهر » والصلاح الصفدي في « اللواتي
بالوفيات » وابن شاذان الكندي في « القوت » وآخرون .
والمعنوي الذي نترجم له يعتبر اذا قارناه بشعراء
زمانه ومن تلاهم « اصدفهم قريحة واقربهم من الطبيعة
واكثرهم افتنانا بالوصف والتصوير » (١) (ويعد من ابرز
شعراء الطبيعة في ادب العرب - وهم قلة - على
اختلاف العصور) (٢) تشهد له بذلك « تصاعده شعره
واناقة صوغه » (٣) مع خصب خياله واتساع افاقه ،
وبراعته في اظهار الناحية الجمالية لكل مظهر من مظاهر
الطبيعة مما يدل على ذوق رفيع جدا وعمق احساس
بالجمال الذي يراه في كل شيء من الحياة . نقرأ له فقرة
في شعره الى جانب جزالته وقوة بيانه ، دقة التعبير
والاعتناء التام بانتقاء الكلمات واختيار الالفاظ على انها
واضحة المعنى جليلة القصد ، تطابق ما اريد بها ،
ظاهرة المدلول ، ليس فيها ما تنجس الطابع السليمة او
تستهجنه الاذواق من تنافر او بعد عن المراد . كل ذلك في
رصانة ومثانة ودون تكلف او تصنع في محسناته
اللفظية والمعنوية ، وهو ابداع ما يكون واجمل ما يقول

(١) (٢) (٣) الدكتور الحاساني في مقدمة ديوان المترجم له .

فَأَمَّا هُوَ مِنْهُمْ
مَا بَيْنَ غَيْثٍ وَبَحْرٍ

ومن حكمه :

مَا صَاحِبُ الْمَرْءِ مِنْ أَنْ زَلَّ عَاقِبُهُ
بَلْ صَاحِبُ الْمَرْءِ مَنْ يَغْفُو إِذَا قَدَّرَا
فَإِنْ أَرَدْتَ وَصَالاً ، لَا يَكْثُرُهُ
هَجْرٌ ، فَكُنْ صَافِئاً لِلْخَلِّ إِنْ كَدَّرَا

ومن شعره في الهجاء ما يعرض فيه بشخص يدعى
المحسن بن ملح (أو ابن أبي الملح) فيقول

أَيَا مُحْسِنٍ قُلْ لِي
بِمَا تَتَّبِعُهُ وَتُفَخِّرُ
هَذَا وَجَدَكَ وَلَمْ يَجْ
فَكَيْفَ لَوْ كَانَ سَكْرُ

وله في الزهد :

إِذَا شَيْدَ الْإِنْسَانُ ابْنَةَ التَّقَى
وَعَادَهَا بِالْجَرِّصِ وَهِيَ شَوَامِخُ
فَذَاكَ الَّذِي يَأْوِي إِلَى حَسَنَاتِهِ
فَتَعْصِمُهُ مِنْهَا جِبَالُ رَوَاسِيخُ
وَمَنْ صَحِبَ التَّقْوَى فَلَيْسَ بِنَادِمٍ
إِذَا صَرَخَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ الصَّوَارِخُ



ومن قوله يمدح :
 وَخَلَّ لَهُ تَأَجُّجٌ مِنَ الذِّكْرِ لَمْ تَزَلْ
 مَرْضَعَةً أَرْكَانُهُ بِالْحَامِدِ
 أَدِيبٌ إِذَا انْهَلَتْ مَعَانِيهِ أَوْ رَقَّتْ
 غُصُونُ الْقَوَائِي فِي رِيَاضِ الْقَصَائِدِ
 يُعْمَنُونَ بِالْإِنصَافِ كَتَبَ أَخَاهُ
 وَيُخْتَمُ بِالْإِنجَازِ طِبْنُ الْمَوَاعِدِ
 وله في الخمریات :

وَجَاءَتْ بِهَا رَاحًا كَأَنَّهَا
 إِذَا مَا تَبَدَّى دُرَّةٌ حَشْوُهَا وَرْدٌ
 لَهَا حَبِّبٌ لِمَا أُرِيقَتْ كَاتَهُ
 مِنَ الدَّرْ طَوْقٌ لِلزَّجَاجَةِ أَوْ عَقْدٌ
 وَإِنْ مُزِجَتْ لِاحْتِ كَوْجَتِهِ عَائِشِي
 وَفَاحَتْ لَنَا مِسْكًَ يَخَالُطُهُ نَدُّ

ولنقرأ له في الغزل هذه الأبيات الرقيقة الحلوة : —

لَقَدْ أُعْطِيتُ فِي خَلْقِهَا غَايَةَ الْمُسَى
 فَلَيْسَ لَهَا فِي النَّاسِ شِبْهُ وَلَا نَدُّ
 وَتَكْنَهُنَّا عِنْدَ النَّفْسِ غَيْبٌ
 وَرِيْقَتُهَا فِي كُلِّ أَوْقَاتِهَا شَهْدٌ
 وَلِلْمِسْكِ وَالْكَافُورِ وَالذَّرِّ وَالْمَا
 لَوْحَظْهَا وَالْثَغْرِ وَالصَّدْغِ وَالْخَدِّ

(هنا تتجلى لنا قدرته وتسلطه الكامل على الالفاظ والمعاني فهو يأتي لنا باربعة تشبيهات رائعة في بيت واحد : لوأحظها كميون الما ، الثغر كالدر ، الصدغ كالمسك ، والخد كالكاפור) .

تَرَى وَصَلَ مِنْ يَدِنَا إِلَيْهَا مَحْرَمًا
 فَطُوبَى لِمَنْ أَضْحَى لَهُ عِنْدَهَا رَفْدٌ
 بَدَتْ فَتَبَدَّتْ بِالسَّلَامِ تَعَرَّضًا
 وَلَمْ يَكْ عِنْدِي فِي الَّذِي قَصَدْتُ عِنْدُ
 وَرَاحَتٍ بَرُوحِي وَاسْتَقَلْتُ بِمَهْجَتِي
 وَلَيْسَ لِمَا لَا بُدَّ مِنْ كَوْنِهِ بُدٌّ
 فَلَمَّا رَأَتْنِي نَازِحَ الصَّبْرِ اعْرَضَتْ
 وَلَكْنَهُنَّ بِالطَّبِيعِ لَيْسَ لَهَا رَدُّ
 فَسَقِمِي فِي جَنْبِ الْهَوَى وَسَبِيلُهُ
 وَمَا خَافَتْنِي صَبْرِي وَمَا صَنَعَ الصَّدُّ
 فَإِنْ جِئْتُ أَتَسْكُو مَا أَقَابَسِهِ اعْرَضَتْ
 وَلَمْ تَسْمَعْ الشُّكُوءَ وَلَمْ يَنْجَحِ الْقَصْدُ

الشريف العقيلي



فكيف احتيالي - مَعْنَى النَّاسِ - ارشدوا
أخا حُرِّي ، فالصَّب ، ليس له رشد
هو الحب ، لا تسلك بدي الدهر طرقه
فما كل قلب شابه حجر صلد
وقوله :

تاشت بوجه أزهَر
وزهت بطرفه أخور
رود كآن يناتها
فصَب العقيق الأحمر

ويلخص رايه في السعادة :
وَأَفْسَسَ عَيْشَ الْمَرْءِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
إِذَا هُمْ بِاللذَّاتِ مِنْ دُونِهَا ضُدَّ

أما الوصف فهو مليك امره والعليم بهنايت
القصيد في أرضه ، يصف الطبيعة الاسرة ببساتينها
المولقة الناضرة وأشجارها الظليلة ورياضها الفن
وتفريد اطيارها وشقشقة عصافيرها ، وهوانها النقي
والنيل الخالد والغايات الملاح والخرد الغيد ومباهج
الحياة ومغان ما في الوجود ، والسوان الاطممة
والآثربة ومجالس الانس واللهم ، وغضارة الشباب
والجمال الضافي والبهاء الباهر والحلاوة والطلاوة ،
ووسائل العيش الهنيء ، وما يذهب عن النفس الحزن
في لطف تبدير وحسن تقرير وبراعة في استجماع موطن
الإبداع بصور زاهية واضحة ، حثيثة بلوسية . ما هو
في سحر بيانه المعجز يسمعك من قياتر قصائده ارق
النغم بالذ اللحن ، تشبهات طريفة للحدود والاصداغ
والشغور والنهود والعيون والجفون والقشود بالآلاء
واليواقيت والنيجان والمير والنجوم والقمر والظباء
والما والحدائق والغصون والذهب والفضة والسبع
والابنوس والعاج والريم والمك والعنبر والفيل
والياسمين والغزلان والحلي والحلل والشقائق
والرياحين والانعام والالاحان والشحارير والبلابل ووو
... الخ من الكلمات التي تدل على ترف الشاعر وبخه
الى درجة تجعله يكثر من ذكر الكماليات ونوادير الجواهر
واسباب الفخفة ومظاهر البهجة .. يقول :

الزهر وسنان ويقظان
والقصب نشوان وسكران
والآس في الخضرة فيروزج
والورد في الحمرة مرجان

★ ★ ★
ادل بالبدل منه
حاء وسين ونون (حسن)

أَفَسَ في الخد منه
حاء ودال وسين (خدش)
ان زارني كان عندي
عين وراء وسين (عرس)

★ ★ ★
كانما سرج قتاديلها
من بهج منها ومن ازهر
لينوفر من ذهب اصفر
في برك من ذهب احمر
يمر منها الطرף في مشيه
بجوه ركب في جوه
كانها اذ لمت في الدجى
ترك كافورا على غنبر

★ ★ ★
وخذ في الشرب بين عقير ورد
ودر ندى وفصة ياسمين

★ ★ ★
غناء شحارير وزمر بلابل
ونصفيق امواج ورقص غصون
ووصل معاطاة وقطع تنوع
وطي مراعاة ونشر مجون
فلم لا يرانا الرّوض في سوجه التي
بها كل اتواع وكل فنون
فقم نقجّر فيها فليست مفيدة
اذا لم تكن معمورة بزبون
وهذا معنى طريف لم يطره احد قبله .. كذلك
قوله بهجو احد المغنين :

ومسمع مستبشع المنظر
أقل من دين على معسر
وقوله يمدح صديق له :

وخيل يكد رواق الغنى
على من يحل بأفائه
رعية ابواله تشكي
تقطرس سلطان اتلافه

لاحظ الاستعارة البديعة ، ولتقرأ له في مغن :
الا ربّ مله له قامه
تقيم قيامه هيف الفصون
ينيه بردي كثير الحراك
ويزهى بخصر كثير السكون
مليح النان فصيح اللسان
غريب الاغاني عجيب اللحن

الشريف العقيلي



وقوله غزلاً :

يا أيها الرشيا الرقيب الذي
كَلَمْتُ عليه آيةَ الدَّلِّ
كَدَّ كَثْرَ العَيْشِ نَمُوذَ القَلْبِ
فَأُبَيْتُ عليه صَالِحَ الوُصْلِ

وقوله :

الطَّلُ فوقَ البَهارِ منتَشِرٌ
كانه فضةٌ على ذهبٍ

وله في يومٍ مطيرٍ :

الرعدُ منتحبٌ والبرقُ ملتهبٌ
والقطرُ منسكبٌ والماءُ مضطربُ
والروضُ مبسمٌ والزهرُ منتظمٌ
والشمسُ تسفرُ أحيانا وتنقبُ
والغيَمُ في الأفقِ محدودٌ سرادقهُ
والطيرُ يصغرُ والأتارُ تصطحبُ
والوردُ يضكُ والمنورُ منتشرُ
كانه جوهَرُ في الأرضِ يُنتهبُ
والياسمينُ كمثلِ الدرِّ تنشره
على جواهرِ ازهارِ الربى القُصْبُ
كانما الترحسُ البرزخيُّ حينَ يدا
على الفصونِ لَجِينُ حشوهُ ذهبُ

وقوله ايضا :

اليومَ يومَ عسجديَّ البرقِ فضيَّ السحابِ

ومن غزله الرقيق :

غزالٌ تَبْدَى فابْدَى لَمَّا
هَلالاً مِنيراً وَغصناً رطيباً
وطرفاً كحيباً ووجهاً جميلاً
وخُذاً أسيلاً وَحُسنًا غريباً

صَدَّ بعد الوصالِ تَبهاً وعجبا
فأَذَابَ الفؤادَ هَمًّا وكرباً
رَشاً جَسَمه أرقَ من الماءِ
واقسى من الحوادثِ قلباً

وله في الخدِّ والصدغِ خاصة تشبيهات غاية في
الجمال آية في الروعة منها :

لَهُ في خُدَّه صدغٌ مَدَارٌ
كَلِيلُ التَّشكِ في صَبحٍ مِنيرِ

كَأَمَّا الصَّدغُ على خُدَّه
غَالِيَةً من فوقِ كافورِ

رَضَابٌ كالزَّحِقِ الخَسرواني
وَمُنَسَّمٌ كَفُورِ الأَقْصَانِ
لِذِي غُنَجٍ لَهُ صَدغٌ وَخُدٌّ
كَلِيلُ البَعْدِ في صَبحِ التَّدَانِ

رَاحَ بِرُوحِي قَضِيْبٌ رِيحَانِ
لِيَمُنْ لَهُ في جِماله نَآنِ
كَأَمَّا وَجْهَهُ وَطَرْنَهُ
طَبَّحَ وَصَالٍ وَلَيْلُ هَجْرَانِ

سَبَى عَقْلِي هَلالٌ بَنِي هَلالِ
بَلَحَاطٍ كَالْحَافِظِ الفَزَالِ
غَرِيرٌ فوقَ عَارِضه عِذارُ
كَلِيلُ الهَجَرِ في صَبحِ الوَصَالِ
إِذَا أَبْدَى وَامِرَةً التَّجَنُّسِ
أَقْبَتَتْ لَهَا وَجوهَ الاحْتِمَالِ

مَرَّ بِنَا في قِيَاءِ دِيبَاجِ
نُو طَرِيقِ جَنُوحِ لَيْلِهَا دَاجِ
يُغْنِيهِ مَا صَافَاةُ الشُّبُكِ لَهُ
مَنْ حَلَسِي لِأَلَاةِ عَنِ التَّجَاجِ
قَدْ نَقَشَ الصَّدغُ خُدَّه فَعَدَا
كَانَتْهُ الْإِبْنُوسُ في المَاجِ

إِذَا بَدَا خُدَّه مِنْ تَحْتِ سَاقِلِهِ
حَسِبْتُهُ فَضَةً مِنْ فَوْقِهَا سَبِجِ

عصر انتقاء الفكر وتأمجه

بقلم : رياض بولص يعقوب

لقد كان العلم في مراحلہ الاولى ، وكان هناك الكثير لكي يتعلموه . ولكن هؤلاء الناس كانوا غارقين في النشوة لاكتشافهم اقنوماً جديداً للانسانية . ومع انهم لم يلاقوا نجاحاً كاملاً في مهمتهم لفتح اسرار الطبيعة فانهم خطوا خطوات واسعة في فتح حقول جديدة من المعرفة . تلك كانت بعض مزايا عصر العقل . وهذا العصر يعتمد بعد ذاته على معنى كلمة « عقل » وهي تعني تعبيراً شاملاً يعطي اتجاهات نظرية وعملية مختلفة

تهدف الى تفسير الكون بواسطة الفكر . وتهدف ايضاً الى تعويد الانسان على الحياة الاجتماعية حسب مبادئ معقولة . والى القضاء على ، أو ابعاد ، كل شيء غير معقول وهذا يعني ان العقل هو مصدر معرفة بنفسه . ان نمو الفكر الحر له تاريخه . فالأغريق كانوا اول من هاجموا الاشياء الخارقة بفكر تأملي هادف . وفي العالم الروماني أصبح العقل ، بمزوج بالارادة ، أداة للسيطرة على الفرد والحياة السياسية . وخلال العصور الوسطى فقد الدين ثقته بالافكار واستعادها في عصر النهضة ، عندما احسدت الآراء الدينية التقليدية تنحط وتختفي . وفي القرن السابع عشر اعتبر الفكر سلطة قهرية قادمة من أعلى . وفي القرن الثامن عشر ، نظر للفكر على انه التعبير الاختياري لاشخاص احرار متورين . وفي القرن التاسع عشر ادعى الرومانتيكيون ان هناك قوى اجتماعية لا يمكن فهمها باستعمال العقل . وفي القرن العشرين وضع المزيمنس التاكيد على انساني العقل غير معرض دائماً لفكر انساني معقول .

فحيث كان الفلاسفة ورجال الدين في القرون الوسطى يفسرون الانسان والكون على ضوء الكتب الدينية ، اخذ اصحاب المذهب الفكري (المفكرون الاحرار) يهتمون بالنظر الى المعرفة من زاوية دنيوية . واصروا على ان باب المعرفة ليس الوحي او الالهام وانما الرياضيات والسببية والمنطق . ولكنهم لم يمنوا انه يجب رفض كل انواع الدين ، ولكنهم اعترضوا بصورة خصوصية على الاشياء الخارقة للطبيعة بحجة انها عقبة

في طريق علم التعصب ، وفي طريق الحرية والاكتشاف العلمي .
٢ - الايمان بالرشد : لقد كان عصر انتقاء الفكر عصر ايمان في السلوك المعقول للطبيعة وفي القوانين العلمية الثابتة . ان العقل كما يقول المفكرون الاحرار - هو الحكم الكلي الذي له القدرة على كل الاشياء . انه دليل قوي ورشد ، اعلى من كل سلطة تقليدية . وقالوا ان الانسان قد خلق لكي يستخدم عقله في حل اسرار الطبيعة واسرار نفسه .
٣ - المذهب الطبيعي : لقد كانت روح العصر الفكري تنعجة عملية . واصحابها مقتنعون بان على الانسان ان يحصل على السعادة والرفاه لنفسه بتحسين حياته ومشائته على الارض . فكل ما كان مفيداً كان جيداً . وان الانسان يستحق بركة الحياة والحرية والثروة .

٤ - التنازلية ، والثقة في النفس : لقد كان هؤلاء المفكرون واثنان جدا من انفسهم ومتفائلين في الوقت نفسه . فهم مقتنعون تماماً بقايلياتهم على اكتشاف قوانين الطبيعة وتحسين العالم والحياة تبعاً لهذه القوانين .

كان عصر انتقاء الفكر او عصر الفكر الحر ، ثورة فكرية اعطت العقل الحديث روحه ومزاجه . ان الانسان الحديث الذي يرفض اعتبار روحانيات العصور الوسطى بانها الكلمة الاخيرة ، اخذ يبحث في اسرار الكون والعالم ونفسه ايضاً ليفسرهما على ضوء تحليل منطقي وسببي . وبكسر النهضة الانسانية ودوافع عصر الاصلاح فان عصر انتقاء الفكر كان عصر حركة فكرية عارلة بدلت ايمان العصور الوسطى بالاساطير ، بالايمان بالعلم . فالأول مرة منذ عصر الاغريق اخذ المفكرون يهاجمون كل انواع المشاكل بآراء حرة غير قديمة ، تدل على السلطة وحرية الفكر ، ويمكن اعتبار سنة ١٦٥٠ الى سنة ١٨٠٠ كحدود عصر حرية الفكر . ان العقلية الجديدة التي انتشرت لأول مرة في القرن السابع عشر ، اعتبرت من قبل الكثيرين في القرن الثامن عشر على انها المفتاح النهائي لمشاكل الانسانية . فخلال هذين القرنين ، وجد هؤلاء المفكرون الاحرار في الرياضيات ما اعتقدوا به انه طريقة ثابتة معصومة من الخطأ ، فقبلوا تفسير ميكانيكياً للطبيعة . وقد أدى دخول كوبرنيكوس وديكارت الى الميدان ، اضافة القانون الطبيعي الى الدين والمجتمع والحكومة . ولبت هؤلاء المفكرين في ايمانهم روح جديدة باحثة مردها التقدم الملحوظ في ميادين العلم والتقنية ، واتساع نطاق التجارة . وهناك عدة مميزات لعصر نهضة الفكر هي ١ - تحويل العلم الى اشياء دنيوية :

ان إيمان المفكرين المتحررين بالحقائق الداخلية العميقة للفكر وجه تفكير الإنسان منذ القرن الثامن عشر. ففي القرون الوسطى اعتبر العالم جزءاً صغيراً من مملكة الله ، وكان يعتقد ان ارادة الله لما يد في كل ما يحدث من ظواهر طبيعية . ونوايا الله كانت واضحة احياناً ، وغامضة لا يمكن حلها احياناً أخرى . واعتبر البحث في اسباب هذه الظواهر الطبيعية عملاً غير ضروري أو غير حكيم . وبقي الاهتمام بالطبيعة محدوداً على علم معناها بالنسبة لنوايا الله . ان الله الكلي العلم والكلي القدرة قد خلق الارض في ستة أيام . والانسان نفسه قد خلق بيد الله ، على احسن شكل . ولكن لعدم طاعته في جنة عدن ، فقد سقط من الشرف العلوي . وحكم عليه باللعنة الابدية . الحياة على الارض أصبحت منذ ذلك الوقت امتحاناً قوياً للانسان . فبعد زمن ستمر الارض بكارثة عظيمة ، وفي ذلك الوقت سيحدث تقسيم نهائي بين الانسان ، الخير والشرير ، الشرير سيذهب لئلا وجههم والاناس الاخيار سيقيمون بسعادة في دار الله الابدية .

هذه كانت دراما تاريخ الانسان . ففي الجو الفكري للعصور الوسطى كان على الانسان ان يبد دوره في هذه الدراما الطبيعية وفوق هذا عليه ان لا يفكر في محاولة تبديلها ان التغير التدريجي لهذا الاعتقاد الوسطي (اي في العصور الوسطى) ، حدث بسرعة بواسطة التجارة التي اخذت تتسع وتشمل حاجات ومجالات اوسع ، وايضاً بواسطة جو فكري جديد نتج عنها .

وفي اثناء الانتقال من العصور الوسطى الى الحديثة ، قامت نظم جديدة منها : الدولة الوطنية ذات السلطة ، الملكية المطلقة ، حكومة ثنائية ، قطاعات دينية مختلفة ، ورأسمالية تجارية وبرجوازية سياسية بقطعة . ومع هذه النظم الجديدة ، جاء تحول ثنائي مميز ، عكس العصر الجديد بكل اشكاله الملوثة . وكان العالم الجديد يطلب اشكالاً جديدة للفكر فقد اتجه الفكر في القرون الوسطى الى الدين واللاهوت في تفسير مشاكل الكون والحياة ولكن اصحاب الافكار المتحررة فضلوا الاعتماد على البحث العلمي . فقد لجأ اساتذة القرون الوسطى الى افكار اللاهوت

عندما ثبت عزيمتهم تراكم وتكاثر الاشياء والحوادث التي بدت انها تتحدى التفسير المنطقي ، وقد سعى المفكرون الجدد الى تأكيد الحقيقة بالمنطق ، وايضاً كان اساتذة القرون الوسطى متدفعين بواسطة افكار ، وتأملات واشكالات . ولكن اصحاب المذهب العقلي (المفكرون الاحرار) اتجهوا الى اعتبار القانون والعمل ، كطريق فعال ذي قوة . ان عصر الفكر الحر يختلف في خصائصه عن كل الثورات الفكرية السابقة واللاحقة فغالبا ما كان فلاسفة الاغريق يهبطون في عالم الشك ، بينما اعتقد المفكرون الاحرار باعتبارهم جماعة انه لا توجد اية حدود لقضاياهم بتأكيد الحقيقة .

فبينما كان اصحاب المذهب الانساني في عصر النهضة ، متأثرين كلية بحرية البحث الكلاسيكي واكثر اهتماماً بالانسان منه بالطبيعة ، كانوا يهاجمون الفلسفة اللاهوتية القديمة لاصرارها المستمر على التأكيد على اللاهوت ، ولكنهم اهتموا اهتماماً عابراً فقط بالقوانين الطبيعية التي استحوذت على اهتمام المفكرين الاحرار . وخلال عصر انتعاش الفكر ، اتى المفكرون الأوروبيون بعيداً بافكارهم الحقيقية لأجل المذهب اللاداعي لوطي عالمي واحد وانسانية جمعة .

ما هو مفتاح اسرار الكون ؟ ما هي الطرق الصائبة لحل مشاكل الانسانية الملحة ؟

وجد المفكرون المتحررون ، الباحثون في القوانين الطبيعية ، الحل السحري لهذه الاسئلة في الرياضيات . وبعد ذلك جاء جهدهم الكبير لأجل « ترويض الكون » وتلا ذلك اضافة افكار حرة جديدة على الدين والمجتمع والحكومة ، لاعتقادهم انه يمكن تفسير السلوك الانساني على قواعد من المبادئ الكونية . وحاول الرجل المتحرر ان يبنى حياته على قواعد من ارادته الخاصة . وعلى الرغم من ان الانفصال عن الماضي كان جليزياً كما يبدو ، فان هؤلاء المفكرين كانوا اقرب الى العصور الوسطى وأقل اعتناقاً لما اعتقدوا . فلو فحصنا اسس اعتقادهم ، لوجدنا في كل زاوية ان هؤلاء « الفلاسفة » كانوا يخفون فضل الفكر الوسطي عليهم دون ان ينتهوا لذلك . فهم يتكبرون الفلسفة المسيحية ، في الوقت الذي

يكونون فيه نصف متحررين من هذه « السخافات » كما يعتقدونها . فهم قد اقلعوا عن مخافة الله ، ولكنهم بقوا على احترامهم للالهة ، وهم ايضاً قد استحضروا الفكرة القائلة بان الكون قد خلق في ستة ايام ولكنهم لا يزالون يؤمنون بان الارض آلة جميلة الصنع ، صنعت بيد مخلوق اكبر مكانه منقول للانسانية . وهم ايضاً انكروا سلطة الكنيسة والكتاب المقدس ، ولكنهم اظهروا ايماناً ساذجاً بسلطة الطبيعة والفكر . وقد احتقروا الميتافيزيقا ، ولكنهم كانوا فخوريين لتسميتهم بالفلاسفة . وقد جردوا السماء من حقيقتها ، على الرغم من احتفاظهم بالاعتقاد القائل بخلود الارواح . وقد ناقشوا الاخلاص بروح تشجيعية ، وداغوا عن التسامح بكل شجاعة ، ولكنهم لم يكونوا لصبوراً على القس . وهم انكروا حدوث ايسة معجزة . ولكنهم آمنوا بتكامل الجنس البشري .

وهنا يمكن تصحيح الاعتقاد السائد بان عصر هؤلاء المفكرين ، كان يمثل ارتفاع مدار الحضارة ، فللمفكرين ، ككل الناس ضفهم ، كان الانسان يتكامل لصبوراً بالاعمال به . نوع من التقييد لم يحدث في زمن الاغريق الوثنيين بحكمتهم الكبيرة ولا في زمن المسيحية لغاية الان . ومع ذلك فأرباب الفكر اتخذوا ، كطريق ، الفكرة القائلة بان الانسان يمكن ان يحصل على حالة التكامل على الارض ، اذا اتبعت وصاياهم بكثافة دينية . لقد بسطوا الاشياء للدرجة الابيض والاسود من الوجهة الروسية (روسو) فما كان طبيعياً كان جيداً ، وما كان غير طبيعي كان شراً . فكل ما على الناس ان يفعله هو فهم القوانين الطبيعية ، وتسقي اعمالهم حسب هذه القوانين . فهم اذا استعملوا قوتهم للسيطرة على انفسهم وبيتهم فسوف يكونون في سعادة حقيقية . والحقيقة انهم قد فشلوا في رؤية ان هناك ما بين الابيض والاسود ظلالاً من اللون الرمادي .

واضافة الى هذا ، فهناك إيمان عميق يتقدم الانسان ، فقد وضع كونودورسيه - وهو من اعمدة المفكرين المتحررين - نوعاً من الوصايا العشر في كتابه « تقدم الانسانية » حيث وصف تقدم الانسان من العبودية الى

حافة الشكامل على الارض ، ولكن لا كوندورسيه ولا فلاسفة منحرون مثله مضوا في تفسير القوة الغامضة التي رفعت الانسان من مستوى الى آخر ، (بقي هذا الى القرن التاسع عشر حيث قام بعض اتباع داروين باعطاء تفسير محدود)

ان الخطر في هذا التحليل المبسط للتطور الانساني ، يكمن بصورة تأكيد غير منتظم على الناحية المادية من التقدم الانساني . جاء التقدم لسبب البحث الحماسي لخمومات سباحة احسن ، ومصائد فئران اكثر اتقاناً . لقد علمنا العلوم الحيوية والفيزيائية اكتشاف الطاقة الذرية ، وتطور التقدم البيولوجي . وهذا يعني خطوات عملاقة في التقدم المادي . ولكن كيفية استعمال هذه الاختراعات قد حيرت وحذرت العالم المتحضر كله . وهنا تساءل كم ستحسن هذه الحالة لو تدخل الفكر للوقوف بوجه هذا العالم الجديد المنفجر ؟

ولكن على الرغم من نقاط الضعف هذه فعصر الفكر الحر ، كان واحداً من حركات قلائل في التاريخ أدى لخلق نظرة جديدة مهمة على الوجود ، وبسط الطريق لوسائل جديدة غير مجربة للتطور في المستقبل ، ومع ان هولاء المفكرين الجدد لم يستطيعوا ان يعيدوا انفسهم تماماً عن الوجهات البدائية القديمة للحياة ، فهم قد نجحوا في فتح سبل ديناميكية جديدة ، لقد كانوا المسؤولين عن تشكيل جو جديد للرأي حيث يمكن فيه تحدى الآراء المنسوخة شفهاً او بالكلية المكتوبة . وقد كان اصراهم على حرية الرأي هو الذي ابعد عن الازدهار الخوف من امكانية الاحراق بهذه الافكار . وكان ايمانهم باحقوق الطبيعة للفرد هو شيء قيم ومقدر في التاريخ الانساني . وقد علمنا هولاء ان الفكر كان يتغلب دائماً على الذين ارادوا الحد منه او الغاءه . لقد تكررت المحاولات لخلق الفكر الانساني ، ولكن ايضاً تكررت فشل هذه المحاولات .

لقد عبر « كانت » عن مهمة عصر الفكر وخصائصه التاريخية الخامسة في جوابه على السؤال التالي : ما هي الاستنارة ؟ (سنة ١٧٨٤) . وكان جوابه : الاستنارة ، أو التنور هو تحرك الانسان من القصور الذي

يخلقه في نفسه . والقصور هو عدم تمكن الانسان من استعمال قابليات فهمه دون الاعتماد على شخص آخر . ولا يسبب هذه الحالة من القصور التي يخلقها الانسان في ذاته نقص في الفهم ، ولكن لنقص في العزم والشجاعة ، فيستعمل فهمه بدون مساعدة من آخر ، هل نجحوا على استعمال فهمك ؟ هو شعار التنور .

وكرر فعل هذا التحدى من قبل « كانت » قام عدد كبير ، ليس من الفلاسفة والعلماء فقط ، بل من الارستقراطيين والاساتذة والكتاب واصحاب البنوك والمسيرين وبعض الأشر المالكه ، كل هؤلاء بدأوا يبحثون عن معرفة اكبر عن الكون الفيزيائي ، وقام ايمان ملوء بالامل في تقدم وتكامل الانسانية خلال استعمال العقل والافكار الجيدة ، وعن طريق معرفة عميقة بقوانين الطبيعة . وهذا بلا شك ، كان تغيراً غير عادي في قصة رحلة الانسان على هذه الارض .

وفي سياق التقاليد الفكرية والبناء الاجتماعي للغرب الحديث ، فعصر الفكر هذا يمثل حركة لمتجمع أكثر تفتحاً ، فهناك العمل من اجل تأمين السعادة الفردية ، وتأمين الحريات الشخصية ، توفير الأنظمة وخلقها ، للسلامة ، التعاون الوطني ، تحرير الفكر من القيود ، وتوفير مجتمع للأفراد احزاب سياسي على القانون .

والتعلق كان الجانب الفكري من النموذج السياسي - الاقتصادي الذي تنبأه البرجوازي الديني ، والذي تحل فيه نظرياً وعملياً عن الوهم العالمي والاحلام الملكية للعصور الوسطى وساند تغيرات حيوية في الامور السياسية والاجتماعية ، كالديموقراطية والتحررية .

ان المجتمع المفتوح في الغرب ، الذي نبع من عصر التنقل وانعتاق الفكر ، اعتمد اعتماداً كبيراً على استقلالية الفرد اثناء التعاون الطوعي ، واكد ايضاً على تقدير افكار وانسانية كل فرد في هذا المجتمع . ويمكن مقارنة هذه الاعمال مع الدوافع التاريخية في المانيا وروسيا والشرق الاوسط الذي لم يغير عصر التنقل فيها الامور الاجتماعية السياسية .. فقد بقي في هذه المناطق نوع غامض من الشمولية السياسية والاتجاه فيها كان نحو جعل يجعل السطاس للدولة والايامان.

فيما كانت العقيدة الغربية تكرم الفرد ، اكد الشرق على سلطة الحكومة وقوتها . وبينما كان الغرب مندجاً في تعاون اجتماعي عام ، كان الشرق ينمي روح الضعة والتكبر والاختلاف في المراكز والاجناس بين شعبه ، وبدخل عليهم التقاليد والاوام البالية القديمة . لقد طالب الغرب بحقوق الفرد ، بينما طالب الشرق بالحقوق الجماعية . كان الغرب مثقالاً باحتفالية قوانين الطبيعة أما الشرق فكانت تنقصه الثقة الذاتية ، وهذا ما أدى بالشرق الذي رفض افكار التنور ، ان يكون مجتمعات محكومة ، مغلقة .

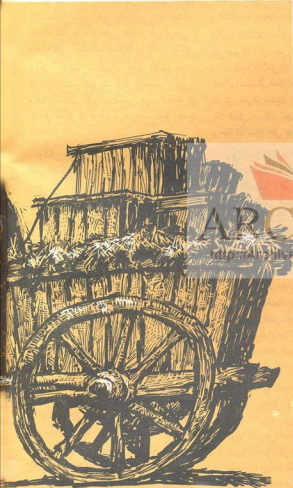
ان عصر التنقل ، لا يمثل مدرسة فكرية معينة ، ولا برنامجاً مخططاً ، فقد كان عصراً نظرياً وعملياً بطموحه ، فكان مهمتها بالتحليل الفلسفي كما كان مهمتها بتقنيات السياسة ، وان وحدة اهداف هذا العصر كان لها تأثير قوي على الاحداث التاريخية القادمة . لقد كان عصر الانعتاق الفكري مسؤولاً

عن تحرير عقل الانسان من قرون طويلة من الوهم والاساطير ووضع قياساً لمجتمع عملي اجتماعي متعاون ، هو المجتمع الغربي المعاصر .

لقد كان جهد « التنور » هو وضع اساس لكل حقل . من العلوم الوضيعة الى الاثام ومن الموسيقى الى الاخلاق ومن اللاهوت حتى التجارة ، ومثل هذه الافكار يمكنها الاستغناء عن تنبؤات الميتافيزيقا والافهام غير الطبيعي . وقد عومل الدين كحلل للاخلاق واعتبر جزءاً من الفيزياء . وفي السياسة استبدلت فكرة الحق الالهي والسيطرة غير الطبيعية بـ « بعقد اجتماعي » ، يمكن فيه تقدير الدولة كاداة للرغبة الانسانية . وفي الفلسفة الاخلاقية كان يراد وضع اساس اخلاقية على القوانين الطبيعية وعلى الحقائق الثابتة النفسية الانسانية .

وبشكل عام ، فقد حاول القرن الثامن عشر جمع تقاليد كرتيين ، لم يتفقا من قبل ، وهما الانسانية والعلم . وقد تركز الالتقاء الكلاسيكي القائل بان لاشي انساني يمكن ان يعادي فكراً مثقفاً . واعطى هذا الالتقاء برنامجاً ايجابياً من العمل العلمي ، فالتقى العلم بالانسانية من اجل حياة افضل في كون اعظم .

الجمود



كل

رفع سوطه في الهواء ، وفرقع به بقوة عند رأس الحصان .
لم يبق على غروب الشمس الا القليل ، وعليه أن يصل إلى المزرعة
قبل أن يحل الظلام .. وانطلقت العربية تنقفز من وراء الحصان
في الطريق الصحراوية وازدادت حركة الهواء المعاكس من حوله
وأحس به يتفقد من خلال فتحات ردائه بارداً ، قارس البرودة .
تذكر عباة الصوف فتناولها ولف بها جسمه . مسح الأرض
المستدة أمامه بنظرة واهنة ، وتنفس بصعوبة ، لا يزال يعاني
من الألم في صدره ، وتبسم بخيلاء وقال في نفسه : لو أن ذلك
الطبيب رآني الآن ، وأنا أقود عربي في هذا الجو البارد ، كان
يريدني أن أزم الفراش لبضعة أيام .. هه .. أيام ! ! والطماطم !
من يعنى بها ؟ ثم ، ان الأطباء يهولون كل بسيط . قال اني
مصاب بـ .. ، بماذا ؟ ! لست أذكر .. والتي تبقى الا العرض
للبرودة ، وانتاول كذا .. وكذا .. كلام أطباء ... وهبطت
العربة ارضا منخفضة ، كانت آثار العجلات تتلوى في الطريق
الرملية امامه كحبات رملية ضخمة ، وبرزت تلال عن يمينه
تنتشر على الطرق بغير اتساق .. رفع رأسه ، كان قرص الشمس
الوردي يعانق قمم اشجار الأثل عند الافق .. وفكر : آه ..
الأثل ! هذا الشجر الاخضر المغير ، كم هو رائع في صموده
وصلابته ! لا يؤثر فيه الغبار والبرد ولا الصقيع .. آه .. لو أن
شجيرات الطماطم تقاوم ببسالة أشجار الأثل !

ومرت بذننه خواطر عذبة : الموسم الماضي ، والآمال
الجسام التي عقدتها عليه ، وزفر بألم ، كان كل شيء يبدو على
ما يرام ، في الشتاء الماضي ، الشجيرات الخضراء تغطي أرض الحقل
، واصوات المياه وهي تجري في السواقي بجوية وتدفق ، وتبعث
النشوة والحفاصة في القلب ، وتحت كل شجيرة ، كان ثمر
الطماطم ، ككرات صغيرة ، تتعلق بأغصان الشجيرة ،
النحيلة ، وتحتوى بأوراقها الصغيرة المرححة ، كما تلوذ صفراء
الدجاج تحت جناحي امها ، تنشد الدفء والامان ، كان كل
شيء يبشر بالخير ، وأن عطاء الموسم سيكون وفيرا ، مباركا .
هز رأسه وسرح يحدث نفسه : ام اولادى تحملت الكثير ، وكلما
قصرت يدى عن تلبية طلبات البيت والاطفال همس بأمل ،
وبإيمان لا حد له : « كلها أيام وينضج الحاصل ويمتلئ البيت
بالخير .. وتكثر النقود . الله كريم .. » كانت ديون كثيرة ،

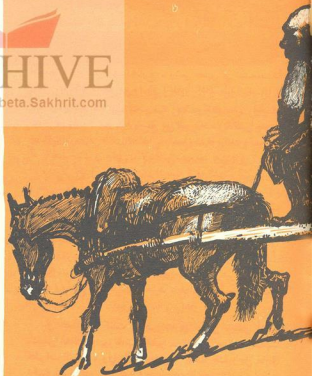
الزراعة

بقام : عبر الزناح سمود المانغ - إبرة

وطبائات البيت كثيرة هي الأخرى ، ولكن الحاصل كان يمكن ان يكتفى ، لو سلمه الله . أول شيء كنت سأفعله تسديد ديوني فالدين حقاً - كما قيل - مذلة للرجال ، وان كان الدائنون - والحق ينبغي أن يقال - طيبين معي ولم يضايقوني طيلة عام كامل .. ثم ، طبائات الاطفال وامهم ، ايضا مشعبة وكثيرة ، ولكني كنت أؤجلهم دائماً : « اذا سهل الله وبناها الضماطم .. » الاطفال يريدون اشياء كثيرة ، بعضها لا يمكن تحميقه بسهولة ، فما دام كل شيء معلقاً بالمتوج ، فلا بد أن سيكون - حسب تقديرهم - بقدرة هذا الانتاج أن يلبي كل الطبائات . كانت حيات الرمل والحصى تقذف بها أقدم الحضان فتنتشر فوق عيائه ، أو ترتمى تحت قدميه ، تناول منها قبضة ثم تترها في الهواء ، كم يحس بالفخر والكبرياء لكل مزارعي هذه المنيعة ، فهذه الصحراء التي لا تعطي غير الرمل والحجارة الصلبة ، يشترعون من بطنها ، بكفاحهم ، طعاما ويفجرون من عظامها البليدة الغور مياها تملأ الأرض بالخرقة والحياة . لم يسبق من الشمس الا نصف قرص ، احمر كبير ، احال رؤوس الابل من لونها الاخضر الترابي إلى احمر شاحب . أحس ان اطرافه تولفه من البرد ، وسعل عدة مرات . واجتاح صدره حزن قليل ، وفكر : كانت ليلة تشبه هذه الليلة ، في الموسم الماضي ، تشبه هذه الليلة !!! لا !!! لا !!! . واتابه هلع غريب واستعاد بذنه حوادث تلك الليلة بسرعة ، ليتأكد من انها لا تشبه هذه الليلة بالذات . وسرح بذنه ، لو انه فقط لم يغفل ويتقاعس ، اذا ، لما خسر موسمه الماضي ، ولما انصهت معه الآمال وانطفا في عيون الاطفال بريق الترقب والانتظار ، انتظار الرخاء بعد أشهر قاسية طويلة . في تلك الليلة ، نام بعد أن تأكد أن كل شيء على ما يرام ، ياله من غبي ! ولكن ، كيف ينام !! ، لو أنه فقط بذل شيئاً من جهد لتغلب على البرد والصقيع ، ولم يسمح لهما ان يمتصا جهده وجهد الفلاحين معه خلال ساعتين أو ثلاث . لم يكن يلدري ما جرى ، ولكن أحد الاجراء الذين يعملون معه في الحقل ، أيقظه بفرع عند الفجر :

- عمى فهد ، عمى ! استيقظ يا عم فهد !
ورفع الغطاء عن وجهه ، فأحس بالهواء ينصب على

ARCHIVE
webeta.Sakhrit.com



وجهه كالماء البارد ، فأعاد الغطاء ثانية ، ولكن الاجير صاح بذرعه :

— قم يا عم فهسد ، الطماطم ! الطماطم !!

وهنا ، كمن علق حبال بقوة خاطفة من وسطه ، نهض وهو لا يدرى ما يقول ، واندفع يركض كالحيول إلى زرعه وتوقف عند الشجيرات الذابلة كالصقوع .. لقد فات الاوان وانتهى كل شيء ، كان الهواء البارد يتحرك ببطء وصعوبة ، وجلس ، مد يديه يتلمس الشجيرات وشمل الحقل بنظرة أمي ، الشجيرات الريانة بالأسس ، تنكس اعناقها وتنطرح سوداء رمادية على الأرض وحيات بيضاء صغيرة لا تزال عالقة بأوراقها

وغمر وجهه الهواء البارد ، خيل إليه انه وسط جثث لأطفال أعزاه ، خلفتها حرب ضروس غاشمة .

انتفض برعب ، انتابه فزع عظيم وغضب مفاجئ ، فترك مقعده ووقف في وسط العرية ، رفع سوطه عاليا ، وألمب به ظهر حصانه ، فاندفع هذا مذعورا ... هل تتكرر المأساة ؟ كلا . ! متصل قبل الليل ، وستظل كل شيء ونحسى « الزرع » أجل — وأخذ يغمغم غمما بنفسه — : لا بد أن يكون هناك أشياء كثيرة تنتظر حضوري . هؤلاء الاجراء لا يعرفون كل شيء . يجب أن أصل ، أولا ، قبل الليل ، قبل الليل ، هذا هو المهم .. وفرق ببالسوط ، وجن الحصان ينهب الأرض ، ويجويفا انفه بعبان الهواء بشرائه ..

— أهلا بالبحاج ... أهلا !!

— الحمد لله على السلامة .

لم يرد على تحيات اجيريه ، فقد كان في شغل عن ذلك ، فضلا عما يعانيه ، من اجهاد .

— كيف حال الثبات ؟

قال بصوت لاهث ، وهو يتزل من العربة . أحد الرجلين أجاب (جيدة) .

— طيب فك الحضان من العربة ، سأطعمن بنفسى .

وانطلق يحوب الحقل ، هذا نوعا ما ، كانت الشجيرات الخضر تمتد قرب السواقي الضيقة برشاقة ، وخيل إليه في هذه اللحظة ، أنها تعرفه ، فابتسم بود ، وجلس قرب الساقية ، مسح يديه الأوراق فرففت بخفة كثراشة طربوب ، غمس يديه في مياه الساقية ، فأحس بها تبعث الدفء في اصابعه المقرودة . عاد إلى الكوخ بعد أن ودع شجيراته بنظرة اغتباط .

أحس بالأنهاك والانهيار بعبان كل أعضاء جسمه ، ولم يتناول العشاء مع رفيقه ، أخذ يرتجف واشتد عليه السعال وألم أطرافه ، وشعر بالأسى والغم تقيلين في صدره وغمغم يأس « هذه الليلة باردة ، والله يسر ويسلم » . وقال لأحد رجاله :

— الجوز يزداد برودة ، انتى اخشى على الزرع ؟

— ابدا . برودة الجو كالمتعاد ، ولا خطر على زرعنا .

وقال الرجل الآخر : — لا بد أنك محموم يا عم فهسد .. وضع كفه على خد مخدومه وعلى كفه .. موك .. أنت محموم ! ألم يمنحك الطبيب ! ! !

أجاب بضيق : هذا هراء .. أنا لست مريضاً إلى هذا الحد ..

قبل أن ينام الرجلان سألما : « هل انتهيتما كل شيء ؟ » . بقى هو بعد أن نام صاحبه ، يعاني الام والتوجس . نباح الكلاب يملأ الليل بين آونة وأخرى . ومرت ساعات الليل الأولى ثقيلة متباطئة ، وفكر بضيق : كم يكره هذا الليل ! لا بد أن يكون الجو شديد البرودة في الخارج . بعد قليل . ربما .. ربما يسقط الصقيع . ترى ، هل يسقط الصقيع هذه الليلة ! كل شيء يؤكّد ذلك ، فالجو بارد قارس البرودة ، والهواء ساكن و ... آه ، هل يمكن أن تتكرر المأساة !! ، لما لا يفعل شيئا . الآن . لم أتيت إذاً إلى هنا ؟ ! لكن ، ماذا عساني افعل ؟ ! وفنش الحاج عن فكرة بتقذ بها شجيراته ، فلم يفتق ذهنه عن شيء . وأدرك أن ذلك محال ، قبله حاول الكثيرون وفشلوا .. واذأ ، فانه لن يستطيع أن يفعل شيئا . ولا ان يرد البرد عن زرعه ! وشعر ببرارة تغلق حلقه . وبأس غريب وتقليل يغم على صدره . هذات الكلاب ، لم يعد يسمع نباحها ، لا بد ان الجو باردا فعلا . وانطلقت أصوات الديكة رنانة في سكوت الليل المضجر ، وعاد يفكر بانفعال : لقد انصفت الليل . وفي هذه الساعة ، يبدأ البرد والصقيع في خنق الشجيرات الخضرة . الآن يتقرر مصير كل هذه الجهود المبذولة في هذا الحقل . ومصير النظرات الباسمة المترتبة للمنتوج القريب . وتحرك في فراشه بقلق . الكلاب عادت للنباح . هذا لا يهم . عمليات اعدام بالجملة تقوم هناك للشجيرات الخالية . ورمى الاغطية جانبا ، وتسلل من كوخه . صفحه الهواء البارد في الخارج . وشعر بضيق في تنفسه وبدأ يسعل . ولكنه اندفع بهرول إلى الحقل . اشتد عليه السعال .

واقف بالزراع عند أول شجيرة . أخذ يرتجف بعنف وأحس بدوار في رأسه . مد يديه ومسح على الوريقات ، انتفض بهلع .. قطرات باردة من الندى تغطيها . وسمع صوته يرتعش متقلعا : آه . لقد جثت في وقتي . لا بد أنها ستجمد بعد قليل ، فهذه البرودة لا تحتمل . وأخذ يحرك يديه فوق الشجيرات بسرعة ويضرب وريقاتها بخنقة . وأنشأ يتحرك بين السواقي كالحيول . والسعال يمزق صدره وحنجرته . أرغمه السعال على التوقف وارتمى بين شجيراته ويدها تتحركان في الهواء باضطراب ليمنع عنها .. سقوط الندى والبرد .. ألقى نظرة أسمى على الحقل الواسع . وفكر بقتول : لماذا لا يستطيع ان يفعل شيئا لهذه النباتات الصغيرة . وعز عليه أن يتركها لتألف مصيرها الرهيب وحيدة .. ولكنه لم يستطع حراكا ، وارتمت ذراعه وسقطت فوق ركبتيه ثم ... هههه .

في الصباح ، كانت الشجيرات في الحقل تستقبل أشعة الشمس الدافئة ، بوريقاتها الخضرة .. اللامعة بعد ان غسلتها قطرات الندى ، وفي رأس الحقل ، كانت جملة رجل فارق الحياة منذ ساعتين ، ترعى قرب إحدى الشجيرات . عبد الرازق سعود المانع -

”مأوراء الخير والشر“ في فلسفة نيتشه



بقلم : فضل سالم



ARCHIVE
http://Archive.Beta.Sakhi.net.com

وحدهم الذين يتسامون . انى احب اولئك الذين لا يبحثون وراء النجوم عن سبب ليموتوا ويضحوا بأنفسهم من اجله . انى احب اولئك الذين يضعون بأنفسهم للارض لكي تصبح الارض يوما مهبط الانسان الاعلى .

— « يا ايها النجم الساطع . ماذا عسى تكون سعادتك لو لم ينعم بنورك من تضي انت لأجلهم ؟ انظر إلى ايها النجم ، لقد ارهقنى حكمتى ، حتى انى بت كالتحلة التى جمعت من العمل أكثر مما تحتمل ، انى فى حاجة إلى أيد تحتد لقطعه . »

الشاعر الذى يعيد القوة ويشير بها ، ويعتبرها الخير ، بينما الضعف هو الشر ، ويقول مثلا :

اليوم أئسمة المدافع وحدها .
مقبولة الدعوات طاهرة القم .
لا يختلف عن الفيلسوف نيتشه حين

الذى يقعد به قصوره فى اللغة الاجنبية ، محروما من متعة السير فى مناهة الحياة برفقة الجبار الذى ارتقى بالفلسفة إلى مرتبة الشعر الملهم حين قال :

« انى قادر ان اغنى انفسودى ، ولسوف اغنيها على الرغم من وحدتى فى بيت متعزل ، وعلى الرغم من ان احدا لن يصغى اليها سوى اذنى . »

انه لامر غريب حقا ان يحتفظ الفيلسوف من افكاره المبكرة ، يوم كان رفاقه يسمونه القديس الصغير ، بناحية واحدة فقط هى التجربة والايمان بالقدر ، ويضم إلى ذلك بتوافق أكثر غرابة — ايمانا بالانسان المثقوب — السوبرمان الذى يشتر بتقديمه فيقول :

— « ان اعظم ما فى الانسان هو انه جسر لا هدف . انى احب اولئك الذين لا يعرفون الحياة الا بالموت ، لأنهم هم

فى اعتقادى ان بين الأدب والفلسفة ، ما يجعل واحدهما يتداخل ضمن شفافية الروح فى الآخر ، حتى يتلاشى كل فرق ، إلا انها وجهان لحقيقة واحدة هى الانسان . وأكثر ما تكون الفلسفة فى الشعر لولا انها تنبع من عقل وينبع هو من وجدان ، والوجدان بعضهم يسميه روحا وبعضهم يسميه نفسا ، أو الذات ، والعقل وحده لا يصنع فلسفة .

على القمة بين الفلاسفة الشعراء الاوروبيين يترجم نيتشه ، ومهما تعرضت فلسفته للنقد أو التجريح ، فهو سيظل المارد الذى حرك العقل وأثار أوروبا وطبها بفلسفته .. وشاعريته .

من المؤسف ان من بين مؤلفات هذا الفيلسوف التى تزيد عن خمسة عشر كتابا ضخما ، لم يترجم إلى العربية سوى « هكذا تكلم زرادشت » ، وبقي القارئ العربى

يقول :

.... ان رجلا هذه صفاته (القوى الآخذة بنفسه إلى الكمال) يجب ان يكون فوق الخير والشر ، ويجب ان لا يهيمه ما يقول الآخرون عنه من انه شاذ ، عليه ان يأخذ بأسباب البسالة والقوة واخلاق الانسان المثقوب ، لا بالخير ، ثم ، ما هو الخير ؟ لأن تكون شجاعا شهما فذلك هو الخير ، خير هو كل ما يزيدك شعورا بالقوة ، ارادة القوة ، القوة نفسها هي الخير ، اما الشر فهو كل ما ينشأ عن الضعف ، هو الضعف ذاته .
يمثل هذه القوة يقول نيشته ان الانسان الشريف ، هو القوى ، وهو الخير ، أنفانيم ثلاثة لا تفنكها لو احدها عن الآخر ،

لا يمكن ان يكون الضعف شرفاً ، الضعيف ليس شريفاً ، لانه يسرق سلامته لينجو بها ، ويبرر فعلته بمقاييس الاخلاق اليهودية ، الشريف لا يهيم لسلامته ، فالسلامة يتركها للسوقة .
ومضى نيشته في روياء هذه حتى يقول : اذن فالخرب خير محض ، بالرغم من نفاهة اسبابها ، الثورة خير لأنها جهاد وجباجة ، وبالجباجة تبرز العظمة الكامنة في الرجال .

لا فرق ، الشاعر يعني الحق والحرية والعدل ، ويعني الجمال ، ونيشته أيضاً يعني الحق والحرية والعدل ويعني الجمال . لكن في مضمون هذه التعابير ، وفي القيم

المصطلح عليها يكمن الخلاف .
في كتابه « ما وراء الخير والشر » يقول نيشته :

ارادة السعي وراء الحقيقة ، هذه الارادة هي التي لا تزال تغرينا وراء المزيد من المخاطر . الحقيقة الشهيرة التي لا يزال الفلاسفة حتى وقتنا هذا يتحدثون عنها بتبجيل ووقار ، فكر ، أية اسئلة تطرح علينا ارادة الحقيقة هذه ، أية اسئلة غريبة ، ملحة ، شريرة !! انها قصة طويلة ، ومع ذلك فانها تبدو كأنها لم تكن تبدأ بعد . لا عجب بعد هذا ان اصيحنا — ولو مرة واحدة فقط — مرتابين ، وفقدنا الصبر وبدأنا ندور حول انفسنا بلجاجة ، دعونا نتعلم ان

القاضي والذئب

كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار ، لم يزل الناس حاكما قسط ولا زعما

ولا ركبنا ، ولا وقورا حلما ، ضبط من نفسه ، وملك من حركته ، مثل الذي ضبط وملك ، يصلي العداة في منزله ، وهو قريب الدار من مسجده ، فيأتي مجلسه ، فيحجي ، ولا يتكلم ، فلا يزال منتصبا لا يتحرك له عضو ، ولا يلتفت ، ولا يحل جوبته ، ولا يحول رجلا على رجل ، ولا يعتمد على احد شقيقه ، حتى كأنه بناء مني ، أو صخرة منصوبة ، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة الظهر ، ثم يعود إلى مجلسه ،

فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة العصر ، ثم يرجع لمجلسه ، فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ، ثم ربما عاد إلى عمله ، بل كثيرا ما كان يكون ذلك اذا بقى عليه شيء من قراءة اليهود والشروط والوثائق ، ثم يصلي العشاء (الاعيرة) وينصرف ، فالحق يقال : لم يقسم في طول تلك المدة والولاية مرة واحدة إلى الوضوء ، ولا احتاج إليه ، ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب ، كذلك كان شأنه في طوال الايام وفي قصارها ، وفي صيفها وفي شتائها ، وكان مع ذلك لا يحرك يده ، ولا يشير برأسه ، وليس الا أن يتكلم ، (ثم يوجز ، ويلج بالكلام البير المعاني الكثيرة) ، فينسا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواله ، وفي الساطين بين يديه ، اذ سقط على انفه ذئب فأطال المكث ، ثم تحول إلى موق عينه ، فرام الصبر في سقوطه على الموق ، وعلى عضه ونفاذ خرطومهم ، كما رام الصبر على سقوطه على انفه من غير أن يحرك ارنبته ، أو ينفذ وجهه ، أو يذب باصبعه ، فلما طال ذلك عليه من الذئب ، وشغله ، وأوجعه ، واحرقه ، وقصدا إلى مكان لا يحتمل التغافل ، أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل ، فلم ينهض ، فندعه ذلك إلى أن يوالى بين الاطباق والفتح ، ففتح ريشا سكن جفنه ، ثم عاد إلى موطنه بأشد من مرتته الأولى ، فغمس خرطومهم في مكان كان



نسأل ايا الهول هذا (ارادة الحقيقة)

بعض الاسئلة ، لمجرد التغيير ..

لقد سألتنا : ما قيمة هذه الارادة ؟
لنفرض اننا نريد الحقيقة ، فلماذا لا نريد
أل ؟ .. غير الحقيقة ؟ لماذا لا نريد
عدم اليقين ؟ لماذا لا نريد حتى الجهل ؟
ان مشكلة قيمة الحقيقة تتحدانا ام لعلنا
نحن الذين نتحدى المشكلة ؟ ايننا اوديب
وأينا ابو الهول ؟

وفي مكان آخر يقول : بعد ان تتبع
الفلسفة وقرأت ما بين سطور الفلاسفة
زمتا طويلا ، أجد ان علي ان اخبر نفسي
ما يلي : ان القسط الأكبر من التفكير
الذهني الواعي يجب ان يعتبر نشاطا

غريزيا .

كيف يمكن لشيء ان يكون اصله ،
وان تكون جذوره في ضده ؟ الحقيقة
مثلا من الخطأ ؟ ارادة الحقيقة من ارادة
الخداع ؟ .. ان هذا النوع من الأصل
غير ممكن ، الذي يحلم به اما احق او
أكثر سوما . الأشياء ذات القيمة السامية
يجب ان يكون أصلها في مولدها ، لا يمكن
لها ان تأتي من عالم سفل غاو غائل ، لا يمكن
يمكن لها ان تأتي من مائة الخداع والطمع .
اصوها واساساتها يجب ان تكون في رحم
الكونية ، في رحم الوجود ، في الابدية ،
في الاله المكون ، في ذات الشيء ، هنا فقط
وليس في أي مكان آخر .
هذا التسامي والتكريس من نبشته يرفض

المكافئية المراوغة ، ويطرح ارضا باحتقار
ان الغاية تبرر الوسيلة ، انه يقول بوضوح
ان الحق لا يمكن ان ينبت من الباطل ، الخير
يستحيل ان تجذ جذوره في الشر ، الحق
حق بذاته ، والخير كذلك . لهذا يقول ان
القوة خير .

لا يمكن ان ننظر الى القوة بمنظورين
مختلفين ، بمنظار القوى على انها خير وبمنظار
من يعاني من تلك القوة على انها شر . الاخلاق
اليهودية هي التي تعطي الاشياء قيمة نسبية .
يقول نيتشه : اننا نأخذ بنظرية داروين
القائلة بتنازع البقاءبقاء الاصلح ، لكننا نتخوف
من النتيجة ، نجهر بالنظرية ولا نتجرؤ على
المصارحة بما وصلنا اليه وما تفرضه احتمية
لأن النتيجة تتنافى وتعاليم المسيحية والاخلاقية

باب

قد اوهاه قبل ذلك ، فكان احتماله له اضعف ، وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى ،
فحرك اجفانه ، وزاد في شدة الحركة ، وفي فتح العين ، وفي تتابع الفتح والاطباق
فتنسى عنه بقدر ما سكنت حركته ، ثم عاد إلى موضعه ، فما زال يلح عليه حتى
استغفر صبره ، وبلغ مجيئه ، فلم يجد بدا من أن يذبح عن عينيه بيده ، ففعل ،
وعيون القوم اليه ترمقه ، وكأنهم لا يروونه ، فتنسى عنه بقدر ما رديده ، وسكنت
حركته ثم عاد إلى موضعه ثم ألجأه إلى ان ذب عن وجهه بطرف كفه ، ثم ألجأه إلى
أن تابع بين ذلك ، وعلم أن فعله كله يعين من حضره من امانته وجلسائه ، فلما نظروا
اليه قال : أشهد ان الباب اليك من الخفاء ، وأزهي من الغراب ، واستغفر الله ، فما
تحدث من عينيته ففهم ، فلما رآه الله عز وجل ان يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستورا ،
وقد علمت أني عند الناس من أزمت الناس ، فقد غلبني وفضحتني اضعف خلقه .
ثم سأل الذي يليه ، قال : « أبا فلان ما أدامك ؟ » قال : « الأدام الكثيرة ،
والالوان الطيبة » . قال : « أفي ادامك سمن ؟ » قال : « نعم » قال : « فتجمع
السمن والسمين على مائدة ؟ » قال : « نعم » ، قال : « ليس هذا عيش آل
الخطاب » .

« كان ابن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه يضرب على هذا ، وكان اذا و
القدور المختلفة الطعوم كلدها في قدر واحدة ، وقال ان العرب لو أكلت هذا
لقتل بعضها بعضاً » .

ثم يقبل على الآخر ، فيقول : « أبا فلان ما أدامك ؟ » قال : « اللحم السمين
والجداة الرضع » قال : « فتأكله بالحواري ؟ » قال : « نعم » ، قال : « ليس
هذا عيش آل الخطاب » . كان ابن الخطاب يضرب على هذا ، أو ما سمعته يقول :
أتروني لا أعرف الطعام الطيب ؟ لباب البر بصغار المعزى . ألا تراه كيف ينتقى من
ثم يقول للذي يليه : « أبا فلان ما أدامك ؟ » فيقول : « الشباقات والاختصة
والفالوذجات » . قال : « طعام العجم ، وعيش كسرى ، ولباب البر ، بلعاب
النحل بخالص السمن » . حتى أتى على آخرهم كل ذلك يقول : « بش العيش هذا .
ليس هذا عيش آل الخطاب ، كان ابن الخطاب يضرب على هذا » .

فلما انقضى كلامه أقبل عليه بعضهم فقال : « يا أبا سعيد ما أدامك ؟ » ، قال :
« يوماً لبن ، ويوماً زيت ، ويوماً سمن ، ويوماً تمر ، ويوماً جبن ، ويوماً
قنار ، ويوماً لحم ، عيش آل الخطاب » .



اتباع داروين في انكلترا . ودعاة المذهب الاشتراكي في ألمانيا ، جميعهم كان لهم من الجرأة ما يتكبرون به الاخلاق المسيحية لكنهم لم يجرؤوا على التصريح بالنتيجة المحتملة لنظرية داروين ، ولم يرفضوا الاخلاق السائدة ، اخلاق الدعة والرقصة والاشارة . اذا كانت الحياة تنازع البقاء وبقاء الاصالح ، فالقوة اذا هي الفضيلة السامية ، والضعف هو النقص والشر ، خير هو من يقا تل ليحيا ويظفر ، وشرير هو الذي يتخسور ويهوى سريعسا .

كثيرون من السطحين اخطأوا فهم نيتشه وتصوروا انه يدعو الى القوة المجردة والى العنف الاهوج ، ولكن ، لنستمع اليه يقول :

« ان اسى جوانب الانسان هي قوة الارادة وثبات العاطفة ، لأن الانسان دون عاطفة يكون رخوآ لا يصلح لعمل . يجب ان تحكم على الاشياء حسب قيمتها للحياة ، والمقاييس الختيقي للقدروا للجماعة هو النشاط والقدرة والقوة . »

نرى انه يضع الى جانب القوة - التي يمكن ان تفسر انها القوة المجردة - النشاط والقدرة ، ان كانت القوة مادية جسدية . فالقدرة عقلية وروحية ، انها مسا نسمة الكفاءة ، أو القيمة الحقيقية للانسان .

في فلسفة هذا الجبار قسوة ألفت عليه اوروبا ، لانه رفض كل المقاييس الخلقية القائمة ، فبدأ من الصفر ، من الطليعة ذاتها ليصل الى القول ان القيم التي نسميها فضائل ليست في جوهرها الا مظاهر ضعفت تريق ظهور الانسان المتفوق . ان اعظم الشخصيات لا تظهر الا في اوقات الخطر ، وحين يلزم العنف والقسوة التي لا تعرف الرحمة .

في الرحمة غلظة واعتداء . نيتشه يقول ان زيارتك لجارك المريض هي لارضاء استعلائك حين ترى بعينيك عجز صديقك .

من هنا نرى ان نيتشه قد صاغ عالما جديدا ووضه اخلاقا جديدة ، الاخلاق هي قبل كل شيء ارادة القوة . حتى الحب ان هو الا رغبة في التملك ، ولقد يجس ل للمحبين انهم في الحب براء من الانانية لانهم يشهدون السعادة والخير لمخلوق آخر . وكثيرا ما يكون هذا الخير معارضا لخيرهم

هم . لكنهم لا يفعلون هذا الا ليملكوا هذا الكائن الآخر .. حتى حب الحقيقة هو عبادة عن الرغبة في امتلاكها « عندى ان العظمة ليست فقط في ان تصير لاحكام الضرورة . بل ان تحيها كذلك . » .

لكن نيتشه لم يستطع ان يحب ما فرض عليه ان يتحملة من امراض ووجاع ، ولم يستطع ان يحب تنكر اصدقائه ، بل لم يتحمل ذلك ، والعكس كل هذا على افكاره وفلسفته التي راح يمهدها الطريق لاخلاق الانسان المتفوق فحمل معولا بهدم به كل ما تعارف الناس على احترامه من اخلاق .

« - عديني .. قال لاخته وقد اشتدت عليه وطأة المرض .. عديني اذا مت الا بقى حول قبري الا الاصدقاء ، ولا يسمح بذلك ابدا للفضوليين المتطلعين ، ولا تدعي قيسا أو أي انسان غيره ينطق الى جانب قبري بالاباطيل ، في وقت لا استطع ان ادافع فيه عن نفسي . اني اريد ان اهبط الى قبري ونتبسا شريفا . »

« - الضعيف يقول : ان الحياة لا تساوي شيئا . وخير له ان يقول : اني لا اشاء شيئا . » . ان الحياة تفقد كل قيمتها اذا تسربت عوامل الفساد الى الاخلاق البطولية

ولقد بات واضحا ماذا يعني نيتشه بـ « أخلاق البطولة » . احتل نيتشه مكانة سامية بين الناس العادين اكثر مما بين الفلاسفة المهنيين . وبين العادين كان الشباب هم الذين حفظوا ذكره . في العام ١٩٤٤ . اقيمت احتفالات بمناسبة انقضاء مائة سنة على مولده . فاجري في امريكا استفتاء تبين منه ان نيتشه لا يزال فنان الشباب ، ومغريهم الساحر .

انه لا يزال في الحقيقة سلاحا فعالا في كفاح الشباب من اجل القوز بالفرديية المميزة والانسلاخ عن القديم ، به يتمثلون ، وكتبه نقرأ باعجاب ونخوش وروية .

في كتابه « ما وراء الخير والشر » يتحدث - كعادته - عن « الاخلاق » وقد قسمه الى فصول ، لكنه لم يقل فيه : يجب ان تفعل كذا ، ويجب ان لا تفعل كذا ، بدل ذلك راح يطرح الاسئلة ثم يشير الى ما يعنيه العيش في ظل النواحي الاخلاقية . مع شروق القرن

العشرين يتطلع نيتشه الى الانسانية فيجدها تشارف نهاية تجربة طويلة في الاخلاق ، ويقول :

« لقد حددنا واعدنا النظر في آرائنا عن الخير والشر حتى اصابها الاهتراء . فانسابا من بين اصابعنا ثم عادا الى غير مواضعهما دون ان يلحظ ذلك أحد . لننظر الى الخير في حب الام ، فسجد الشر في سيطرة الام الذي هو الحب الخالق . لنعتصر الشر - في الانانية - وسجد الخير في احترام الذات وضبط النفس . »

« - هل صحيح اننا نقول الحقيقة حين نكون « صادقين » ؟ الشيء الذي لا نريد الاعتراف به هو ان الاخلاق كانت مجرد تجربة ، ولقد وصلنا الى نقطة لم يعد ممكنا عندها التمييز بين الخير والشر بالعين المجردة ، وحتى نميز بينهما يجب ان نضع على عيوننا نظارات ملونة من عادات او فلسفة اخلاقية معينة ، ومن الافضل ان تكون هذه النظارات جزءا منا . ولكن ماذا ان حدثت هزة في اعماق الانسان اطاحت بالنظارات الخلقية ؟ ماذا بعد ؟ يمكن جدا ان حدث هذا ان لا نكون قادرين على الحصول على نظارات أخرى . »

عند هذه النقطة يتوقف الكثيرون عن قراءة نيتشه . أو . على الاقل ، يتوقفون عن قراءته بذكاء لانه يقودهم - حسب زعمهم - الى النهلستية - العدمية - يقود من يحب الوصول الى هناك ومن لا يحب . ولكن هذا غير صحيح . نيتشه يطرح من الاسئلة اكثر مما يعطي مسن اجوبة . حتى اسئلته تأتي كقافراحات .. لماذا لا تجرب هذا لئى الى ابن يقودنا ؟ ..

حرية الارادة يقول عنها : ان اردتي حرة في الاختيار الاخلاقي . بين الخير والشر مثلا ، فما هو الشيء الذي يقيدنا بالمطلقات ان لم يكن الارادة الحرة ؟

تجربة الشاعر لا تختلف في الآخر . من حيث كونها ترفع مقاييس اخلاقية جديدة عن تجربة نيتشه التي يدعو اليها حين يعتبر الخير والشر ليس كشيئين في مقابلاتين على تناقض . بل في جانب واحد اخلاقي ثم راح يقشش في الجانب الآخر منه على اخلاق جديدة . وفيه جديدة لانسان جديد هو .. الانسان .. والمثل الاعلى .

محمد بن لعبون قصة سفره من الزبير

بلغت مسامع الشيخ على الزهير حاكم الزبير ان لمحمد بن لعبون قصيدة جديدة وكان الشيخ على من المولعين بأشعار ابن لعبون ، والذي ابغى عنها هو الشاعر ابن ربيعة فاستدعاه إلى مجلسه لسماعها منه ، ولما مثل ابن لعبون أمامه طلب منه الفاء فألقاها على كره منه ، لما يعرفه عن الشيخ على من ذكاء ودهاء ، فاعتبرها الشيخ على هجاء لأن زهير وأتباعهم ولكن من طرف خفي وفيما يلي بعض مقاطع منها :

ترحم الى اليوم عجز لا يقوم
في مغاني مي تاوحت المجوم
قاعدات من صباح الله تلوم
قال ربي قبلكم ، ويش العلوم
وارتحل عن ماء جعلك ما تقوم
بالسفاهة وسبعة اعوام تموم
عن ديار جعل ساكنهن يوم
واعرف أن اوصال مي ما يدوم
قلت يا العذارى ولد عمي عزوم
ما لقيتوني مسامر للنجوم
وان سطا فهو الغشوم ابن الغشوم

يا خفي اللطف لطفك يا كريم
كلما ناحت حمامات الصريم
وان كشفت اغطاى والى ان الحرم
قلت باسمك يا الهى يا رحيم
قالوا اهجر دار ذا العيش الذميم
يا محمد سبعة أيام مسديم
ما ورا مير انت بالمشوم شم
وانس ذاك الوقت والعيد القديم
وانت متبدي ولد عمك غشيم
لعبون ولد عمي على عرج الخميم
ان عطا فهو الكريم ابن الكريم

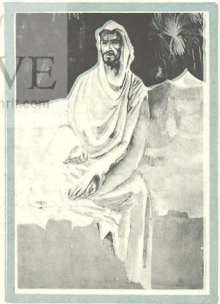
ومنها والخطاب لعلى الزهير :

وضعها عقب الحمل غلمان نوم
خافقت بالنصر مثل الغيوم

ملقح بأفكاره الحرب العقيم
يورد الرايات في هول عظيم

والسبايا طافحات بالقصوم
سامرى ما يروم الى تروم
مفخر البزون بالبع القصوم
اقعدوا له بالذى فوقه رجوم
عسرك طير المنايا به يحوم
ما جرى شط العرب غير الدموم
من ستانك يا على فيها عزوم

ثابت لا زال بالمهيجا مقبم
كم عدلنى فيك أفاك أثيم
يفتخر حاشاك بالعظم الرميم
يندب العليا ويعلق في تميم
وانت مثل الليث بالليل البهيم
لو رميت ابها الذى لك من خصيم
كل عين شوفها صاغ سليم



بقلم: عبد الله محمد الحاتم

ومنها هذين البيتين وهما بيت القصيدة .

ب ان الحق بالشرع الفويم والمعالى بالتساكر والرشوم
ن حق المدعى عطر الرزيم والمعالى دونها قطع الخشوم

والذى يقرأ هذه القصيدة يظهر مديحاً للشيخ على الزهير والحقيقة
لا ذلك فابن لعبون مدح الشيخ على الزهير على طريقة ابي الطيب
بي مع كافور ، ولما انتهى من القائه ، التفت الشيخ على إلى من حوله
ال انه يحرك رأساً ثامساً فارمه بمخادرة الزبير وأعطاه مهلة ثلاثة
م على ما قبل . فخرج ابن لعبون من عنده غاضباً وقصد بيت ابن ربيعة
حبره الخبير ، وقال له ان الشيخ على امهلى ثلاثة أيام ، ولكنى سأترك
بى اليوم وفي هذه الساعة ، وطلب من ابن ربيعة قربة ماء فارغة ،
أبهره ابن ربيعة حتى آبار « الدريهمة » وهى آبار يستقى منها أهل
بىر ، ولما أخذوا ابن لعبون في احداها يستقى ، سمع صوت « طار »
ال ابن لعبون لابن ربيعة ، ذا حس طار « فرد عليه ابن ربيعة اوفى
سيرك خفوقه ؟ ! » فنظما ابن لعبون بهذا المطلع قصيدة طويلة
منها باقتدح المسجاء وأمره على أهل الزبير قاطبة بما فيهم الشيخ
، الزهير وهذه بعض مقاطع منها .

صس طار (١) اوضميرك خفوقه
ن هو حيك وطابت اوفوقه
عبيد خل الى تشكل بسوقه
لللبوان كانت اعلمك صدوقه
واك نشد عن مغاني تروقه
كر بها عيش مضى ما تذوقه
مد عبد هافيات اعمسوقه
فر حريتهضه اسسوقه
لا رعاك الله قرب اسسوقه
بالهجير اوصال حى تشوقه
العنا لى بها والمعسوقه
بها الوالد كثير اعسوقه
ن بها هذا على ذا يسوقه
عمى الوفا منهم عميلة ييوقه
كانها « المستور » ضاعت احقوقه

ومنها :

بين شقاق ورواي شقوقه
مال هطال صدوق حقوقه
بى كما حرب النصارى بروقه
ن نذاف الطها من اطبوقه

وشحات غلوق وعصيان غلاق
ينشبه كما ليل على الصبح ينشاق
يظرب له الهلول منهم وينشاق
مثل النعام ان ذارها زول نفاق

ترفي مريضات السامع اتسوقه
يسوقه الغري والآخر يعوقه
تقتصر عن مثل الدحاريج موقه
وخامس تشوق الدار والثلج فوقه
توى العذارى حسر في رقوقه
بين الطموح وبين مشاق شوقه
تسمع نذاجر الملك في صفوقه

ومنها وهو آخر بيت من القصيدة :

والى يرى ضد الوفا ما يندوقه يدق به من نازح الفكر دقاق

وسافر الى الكويت بحراً من مرفأ الخوير ، ولا تعرف تاريخ
وروده إلى الكويت بالضبط الا ان ذلك واقع ما بين سنة ١٢٣٥ هـ وسنة
١٢٤٠ هـ في عهد الشيخ جابر العبد الله الصباح (جابر عيش) . وجاء إلى
الكويت فوجد شهرته قد سبقته إليها فلقى من أهل الكويت وأمرائها
كل ترحيب واكرام . وصارت له علاقات طيبة مع عدد من
الشخصيات الكبيرة ومن بينها الحاج يوسف يعقوب آل بيدر . والحاج
يوسف هذا علم من اعلام المروءة والكرم في الكويت وهو من المعجبين
بالشاعر ، وكان ابن لعبون يركن اليه في اللغات ، وعلاقته به قديمة
منذ ان كان في الزبير ، ورغم الترحيب والاکرام اللذين لقيهما من أهل
الكويت ومن أمرائها ، فانه لم يستطع تناسي الذكريات الجميلة التى مرت
به في بلدة الزبير كما نرى ذلك واضحاً في شعره الذى نظمته في الكويت ،
كقوله من قصيدة :

قيلة الفيحا وشرق عن سستان
طافحات مثل عيش في يدام
دارسات كنهن ذق البرشام
من نظير العين الا من شسرام
وانحاح اليوم عن سجع الحمام

يا منازل مى في ذلك الحزوم
في سراب عن جوانها محوم
يستبين بها الخفير بها الرسوم
ما بكت فيها من الفرقا غيوم
عوضت عنها الضعابين بالهدوم

ومنها :

يوم وصلك بالكرام والكسرام
كنهن في دار ابن عوام (٢١) عام
وان عجبات الصبا دوم الدوام
يفضح البراق في جنح الظلام
شبهه داياتها عند النشام

كل عيش غير عيشك ما يدوم
يا سين الى مضت مثل الخلوم
يوم مى تحسب الدنيا تسدوم
يوم مى توربك خد به وشوم
كته التقديبل بالزيت تحسوم

ومنها من بديع الجناس الكامل قوله :-

غابات غابيات لى تسروم كنهن في كنهن بيش النعام

وقوله من قصيدة أخرى :

قضت لياى وصلنا به وفرقت شمله وذلك الوصل يطرى على باى

ومنها :

فيا مى صفو العيش ما طاب عقبكم وقلب سلا ما اعراض عنكم بالابدال

ولعبوناته التي نظمها في الكويت مليشة بهذه الذكريات .
وليس من المستغرب على ابن لعبون المقعم قلبه بالذكريات الجميلة ان يجيش قلبه بها ويعبر عنها بشعره ويجعل منه متنفسا له مهما بلغ من أكرام القوم له ، ولكن المستغرب هو أن ينسى هذه الذكريات . وماضى الانسان مهما كان ، هو القاعدة الاساسية التي تمده بالقوة والحياة والمعرفة وما أكثر ما يشعر الانسان بالحاجة إلى الماضي فيقر إليه من حاضره الضيق للاستئناس به .
ومن أشهر قصائده التي نظمها عند قدومه إلى الكويت قصيدته التي يهجو بها شاعر الزبير عبد الله الربيعه ويمدح الشيخ جابر العبدالله الصباح وهي من اروع اشعاره قال :

البارحة سهر وادير التفاكير في ذم نذل بادى بالعبارة
لا طالب دم يبي له مشاوير حتى نعلسره لو طلبنا بشاره
ولاصان عرضه لوبوسط الدواوير ولا هو يطلبنا بقايا نجساره
بلا ذنب اوكا في قفانا مشاوير واشوف جا ذم يعين الحقاره
وحنا هل الوادى وحنا المتاعير وحنا ودينا جارنا من اجداره
يشهد لنا جريس اليماني بتضخير يوم عن أهل الدين مجد أجاره

خذ ما تراه وخل عنك الخماكير من شق جيب الناس شقوا وزاره
ترا ذهاب التمل سعيه بتطهير خذ راسها بالي تطهمت قاره

ومنها :

يا عبيد ابن عمك خواله يباسير وعينك عمت من شوف عيك وعاره
وان طعنى عن السباع المظاهير عندك اخو مريم تسلفط بداره
ابو صباح ريف ركب معابير هو زين مضبوط جلا عن ادباره
جابر لكم سدره وانتم بعصافير اذا ضم عصفور بلحا في جواره

يستاهل البيضا بروس المقاصير واولاده الى كل منهم نغار

والمعروف عن ابن لعبون أنه ميال إلى الطرب وحياة اللهو والمجون وفي الكويت حصل له فراغ كبير في نفسه فعندز عليه ان يجد المجال الكافي للملء هذا الفراغ . فعزم على ترك الكويت ، وسافر منها إلى البحرين حيث الفن والصبيا والجمال والحياة القارحة المائلة ، وهناك وبعد أيام قليلة من استقراره فيها ، حدث له ما لم يكن في حسابه ، واضطر للهرب منها والعودة إلى الكويت ، ذلك ان امرأة لأحد امراء آل خليفه حضرت حفلة عرس كانت قد اقيمت ، وابن لعبون فيها ، وكان الونر من العود وكانت فارعة الجمال ، فطغى عليها الطرب وبغى ، وبرزت ترقص بين وقع « الطار » وصوت ابن لعبون الجميل . وأسقطت القناع عن وجهها وبرزت كالبدر في ليلة تمامه ، فتخرج موقف ايز لعبون وصار يتادبها من خلال القناع بأن تعيد القناع إلى وجهها ، فله تأبه له ، وفيما هي كذلك شاهد ابن لعبون احد اقاربها بين الحاضرين واسمه « على » فخاف من العاقبة وانتقل إلى فن آخر لعله يتفادى الأمر . هذا مطلعها :

يا على صحت بالصوت الرفيع يا مره لا تذبذب الخنا
..... الخ

وفي رواية أخرى انها لما برزت للرقص وأسقطت القناع عن وجهها انتقل ابن لعبون إلى هذا الفن مع فارق بسيط يخاطب رفيقا له بلهجته الأمر ويدعى « على » ان يصيح بها بصوت عال كما يدل على ذلك مضمون البيت :

يا على صح بالصوت الرفيع يا مره لا تذبذب الخنا

والرواية الأولى هي الاصح لتواترها .
وعاد ابن لعبون إلى الكويت ولسان حاله يقول :

وألفت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المساف

وبقي فيها إلى أن توفي بسالطاعون الذي اجتاح الكويت عام ١٢٤٦ هـ .

« عبد الله الخالد الحاتم »

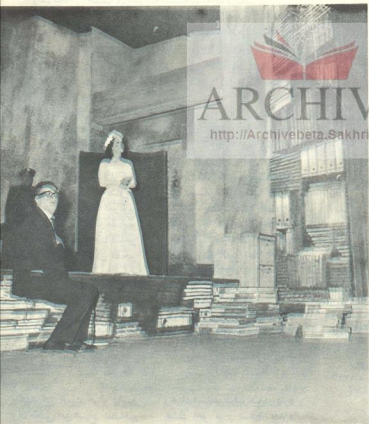
(١) الطار : الدف .

(٢) يقصد بها بلدة الزبير .

محرز لائق

يوسف إدريس

وادي



لأن ما يقوله يوسف إدريس لم يكن أبدا
كلاما طائرا في الهواء ، فهو تاريخ طويل
من التقديمية والفن ، لا يمكن تجاهله بأي
شكل .. لذلك فعندما خرجت « الثرافير »
من المسرح منذ عامين مضيا كان في القلب
غصة .. فمع جمال الحوار وسلاسة وسلامة
البناء ، وبامتداد الحركة على طول المسرحية
ونبضها ، كان هناك كلام كثير عسى
مضمون المسرحية نفسها .. كان السؤال
هو .. هل هذا هو يوسف إدريس الذي
يعرفه الناس ؟ أم انه شخص يقلق في كل
الاتجاهات بلا مبرر ، فثلا يعمق في أي



الأرضية

نقد صلاح الملا



فكيز ، أصبحت القصة التي اعجبته فقر
ان يسرحها « ويعنفها » لتنفق ثلاثة
فصول كاملة .

تفتح الساترة وقد جلس طبيب الصحة
(عبد المنعم ابراهيم) ومعه التومرجي صفر
(شفيق نور الدين) وسط الدوسيهات
والاعتنام والتواقيع . ومنظر الطبيب اقرب
شيء الى منظر الباشكاتب ، حتى يدخل
عليه الاستاذ محمد الاول ، مدير شركة

مظبوطكس وعسكري بوليس يحرس شقيق
محمد الاول - محمد الثالث - وقد لبس
قميص الكتاف (الدال على الجنون) لتحويله
الى مستشفى الامراض العقلية بعد ان حاول

قتل زوجته « نونو » (سناء جميل) بالسكين
وتحضر نونو وتؤيد اقوال محمد الاول
(دون ان يفتح محمد الثالث فمه بتاتا حتى

هذه اللحظة) ، وبعد ان يوقع الطبيب على
أوراق التحويل للمستشفى وينتهي الأمر ،
يقوم بسؤال المجنون - ربما كأدوية واجب -

ليعرف ما اذا كان مجنوناً ام لا ، ومع
الحديث يكشف ان المجنون الحاصل على
الدكتوراه علوم الزراعة ليست قضيته
قضية محمد الاول (الثلاثة افدنة) وإنما
الذي يقلقه هو أشياء أخرى تماماً ، بل ان
الاسئلة التي يثيرها تكاد تذهب بعقل

بحنوان « فوق حدود العقل » وهي من أجمل
القصص التي كتبها ، واذا امكن تلخيصها
فهي : قصة عسكري بوليس يحاول الاستيلاء
على تسعة قراريط يمتلكها أخ له ، فلا يجد
أمامه الا ان ينهم أخاه بالجنون فيحضره
لمكتب الصحة . وعلى هذا الاساس تؤيد
امرأة جاءت على انها زوجة الرجل المجنون
الذي حاول ان يقتلها .. لكن الرجل المجنون
لا يعترف بموقفه القبيح ، وإنما يكي ويدافع
عن نفسه بكلام معقول جداً بأنه حقيقة ليس
مجنوناً ، بل ينكر زواجه من المرأة ، ومع
شك الطبيب الذي نما في صدق رواية عسكري
البوليس يدخل الأخ الثالث ليؤكد ما يقوله
الرجل المتهم بالجنون نفسه ، من ان المرأة
ليست زوجته وإنما هي زوجة عسكري
البوليس ، ويرثر الطبيب ان يبلغ البوليس
لكن الأخوين يتدخلان ويتوسلان للطبيب
كهي يعفون عن شقيقهما « عسكري البوليس »
بل انهما يعرضان ان يدخلوا المستشفى حتى
لا يحطما حياة أخيهما الاكبر « صاحب
العيسال » . وبسكت الطبيب .

هذه هي القصة التي اخذ عنها يوسف
ادريس مسرحيته ، قد يكون المضمون فيها
صغيراً ، لكنها على كل حال انسانية الطابع ..
كاملة الصنعة تماماً ، مبهوكة الاطراف ..

اجاه ؟.. ورغم كل شيء فقد أنت لحظة
استطاع يوسف ادريس خلالها ان ينظر
بجلاء وبرفوض عشرة آلاف ليرة لبنانية ،
هي قيمة جائزة مشبوهة قدمتها له مجلة
« حوار » . ولذلك فعندما بدأ عرض مسرحيته
الجديدة « المهزلة الأرضية » على مسرح
الاذبكية الشهير في القاهرة ، سارع الجميع
لمشاهدتها ، خاصة وان الضجة التي اثارها
مسرحية عبد الرحمن الشرقاوي ما زالت
قائمة في الأذهان ، فماذا قال يوسف ادريس
في مهزله الأرضية ؟

قبل ان نبدأ بتحليل المسرحية حتى
نستطيع ان نقول فيها رأياً ، لا بد لنا من ان
ننظر في هذه الفترة من حياة يوسف ادريس
فربما يساعدنا ذلك على فهم المسرحية بل
وعلى اصدار حكم واضح فيما يفعله
يوسف ادريس .. نحن نعلم مثلاً انه كاتب
مجموعي « العسكري الأسود » و « قاع
المدينة » ومسرحيات « جمهورية فرحات »
و « ملك القطن » .. كان خطه الفكري فيها
جميعاً واضح المعالم يذهب هنا أو هناك ،
لكنه اخيراً الكاتب التقدمي التبعة ..
الاشتراكي التكوين .. بل لماذا تذهب بعيداً
عن مسرحيته .. فالمسرحية هي في الأصل
قصة قصيرة كان قد اصدرها سنة ١٩٦١



الدكتور أيضاً ، فالمجنون تقلقه الشمس التي تصر على الطلوع كل يوم بالرغم مما يمثل به النهار من قتل وسرقة واغتصاب ، يقلقه جيش النمل صيفاً وشتاء ، الباحث عن الطعام ولا شيء آخر بالرغم من كل ما يحدث له . وهكذا .. لكن شيئاً ما يحدث فجأة ، فالأخ الثالث (محمد الثاني) يدخل مرحوشاً ليست للطبيب ان محمد الثالث ليس مجنوناً وإنما هو الأخ الأكبر الذي يحاول الاستيلاء على ارض شقيقه وان المرأة ليست زوجة الثالث وإنما هي زوجة الاول وما ان يحاول الطبيب الرجوع للمرأة يعرف منها ما اذا كانت زوجة الاول أو الثالث - فهي المصدر الوحيد للمعرفة بين ادعاءن - حتى يكشف اختفائها تماماً ، ويسألم عنها فيجبون بأنهم لم يروا بتاتاً أي امرأة ، كمل معاً ، وتغلق الستارة والدكتور يكاد يمين .

في الفصل الثاني تفتح الستارة وقد تحولت القضية من أخ يزور ويريد ادخال شقيقه مستشفى الامراض العقلية الى قضية طبيب يبحث عن الحقيقة ، اين ذهبت نونو ؟ فالدكتور يرى القضية هكذا ما دام ان نونو لم توجد - حسباً يقولون جميعاً - وما دام انه متأكد من انها موجودة ، اذن فهناك تناقض لا بد ان يحل حتى يمكن ان يرجع للعقل احترامه .. ومحاول ان يتأكد باي شكل ويحدث نقاش . لماذا لا يمكن ان يرجع العقل الى مكانه ؟ لأن المصنف أناني عين في الجنة وعين في النار .. لان محمد الثاني ضعيف (يرمز يوسف ادريس به للبطيخة البرجوازية) لا ينفذ ولان الاول ضد الحياة ولان الأم التي حضرت على المسرح في نفس صورة نونو فطن الطبيب انها هي نونو ، فيجأ بأنها - أهمهم - متهمه بأنها لم تكن تبحث الا عن نفسها .. هي متهمه بسرقة الخزان في نظر الثالث .. ومتهمه بسرقة اموال الاب

في نظر الاول والثاني والهروب بها الى زوج جديد كان يطمع في سرقتها .. ومرة أخرى تخفي الأم التي اتخذت اسم (كنانة محمد عيسى) لينكرها الجميع مرة أخرى .. وتخضر نوال .. (المرأة نفسها) ليقول محمد الاول انها زوجته ولتقول هي انها مطلقة محمد الثالث ولا تعرف على الاول بتاتا وتخفي مرة أخرى لينكرها الجميع مرة ثانية ويقع الطبيب في تناقض ويشك في كل شيء حتى زوجته التي يطلب منها ان تخبره بموضوع المناقشة التي دارت بينهما في الصباح فتسأله ، وبما انه لا يعتقد ايها أنها قد حضرت لمجرد الرغبة في رؤيته اذن فهي ليست زوجته ايضاً ويصرخ الطبيب طالباً بوليس التجسس ..

في الفصل الثالث يحضر بوليس التجسس في هيئة شخصين .. جد كل هؤلاء ووالدهم ايضاً (محمد فاروق) محمد الطيب (الجد) الشهم بانه سبب تلك المشاكل كلها لانه خلف لهم ٣٠٠ فدان ليتقاتل الاخوة عليها .. والأب متهم بانه كان يبيع الامتيازات وتصبح القضية التي اصبح التومرجي صفر (الذي رمز به يوسف ادريس للشعب والطبقة العاملة) قاضياً ومديعاً وحاجباً ايضاً ، تصبح القضية - التي مظهرها اختفاء نونو بالنسبة للطبيب - هو رمز هؤلاء هو السبب الرئيسي للمشكلة .. الجد ... الأب .. الأم .. المصنف .. الرأسمالي .. البرجوازي .. من رمز هؤلاء سبب المشكلة . كلهم يترافعون ويتهمن بعضهم بعضاً ويدافع كل منهم عن نفسه دفاعاً عجيذاً ومؤثراً .. وتكاد القضية تنتهي فينهيا يوسف ادريس يحل مضحك جداً .. فالجميع برئ ومتهم في نفس الوقت ، الرأسمالي برئ لانه رغم كل شيء يريد ان يترك شيئاً لاولاده ، ومتهم لانه وصل في طريقه الى درجة اغتيال أخيه وكذلك

الجد الذي كان يجمع الارض لمجرد الفن للفن .. والأب .. اما المصنف فهو برئ ، لانه متقف ، ومتهم لانه متقف بهرب من الحياة ، والبرجوازي برئ ومتهم لانه يرى ويفهم دون ان يقدر على اتخاذ موقف . وتكتمل مهزلة يوسف ادريس ما دام انه لا فائدة ، بدخول زوجة الدكتور التي تذكرت سبب نقاشها معه في الصباح .. لقد كانا يتناقشان ، بل تعاركا ، من أجل ان يحاول الطبيب ترك شيء لاولاده عندما يكبرون ، تماماً مثل منطبق فاروق (الجد) وعمد الطيب (الأب باع الامتيازات) وعمد الاول الذي رشا التومرجي فعلاً وحاول رشوة الطبيب ليدخل المستشفى وتنتقل الستارة والطبيب يصرخ مجنوناً .

هذه هي المسرحية ، فماذا عن استقبال النقاد لها في القاهرة ؟ كتب الدكتور شفيق الحلبي ، في مجلة المسرح العدد ٢٧ ص ٢٨ يقول :

« لقد عالج كثيرون مسألة الحقيقة والبحث عنها بكل الاساليب الادبية ، وعالجها المسرحيون اما بصورة واقعية واما بصورة رمزية بلعب الالهام فيها دوراً كبيراً غير ان اسلوب الدكتور ادريس لم يوهم المتفرج ابداً .. لانه لم يقنعه ، خاصة في مسألة البحث عن الحقيقة هذه ، فهو لم يشأ ان يعترف بالعلاقة بين المتفرجين وبين خشية المسرح وهي ان المتفرج ينظر الى المسرح من خلال عيني البطل ، ولذلك فان عنصر الالهام في المسرحية ينهار تماماً ، فالمرأة التي تظهر وتخفي ، والتي يرمز لها في النهاية بأنها صورة الاحلام الداخلية ، لا ينبغي ان يراها الجميع مجسدة في امرأة واحدة كلاماً مثلاً فلكل شخص احلامه الخاصة اي صورته وتعبيراته المختلفة .. وخاصة اذا كان الاشخاص يرمزون الى طبقات متناقضة منها الارض

نزل احد الادباء في فندق ،
ولما سأل عن اجرة الغرفة قال له
صاحب الفندق :
- دينار يا سيدي .
قال الأديب : أليس عندكم
للأدباء امتياز ؟
قال صاحب الفندق : نعم ،
تطلب منهم ان يدفعوا مقدماً .

.....

اراد عميد احدى الجامعات
ان يهدي الى صديق له نسخة من
كتابه 'الجديد' ، فكلف ناشر
الكتاب ارسال تلك النسخة ،
فأرسل الناشر نسختين لا نسخة
واحدة . وبعد حين ، قابل العميد
صديقه وسأله : هل جاءك كتابي
الجديد ؟
فأجاب : نعم وقد انتهت من
قراءة الجزء الاول وكنت افرغ
من قراءة الجزء الثاني !!



نشرت صحيفة فرنسية الاعلان
الآتي :
« السيو دومرج يعلن زبائنه
الكرام انه شفي والحمد لله مما ألم
به من مرض وعاد الى تسلم اعماله
في دكان البقالة المعروف باسمه » .
ثم وضع الحاشية التالية :
« السيو دومرج البقال لا
تربطه رابطة ما بالسيو دومرج
رئيس الوزارة ! »



في مؤتمر سياسي عقد في روما
جرت المناقشات حول المهام التي
تضطلع بها هيئة الأمم ، فقال أحد
الساخطين على افيئة :
- انها مهمة خطيرة تلك التي
تضطلع بها هيئة الأمم ، ولا سيما
في حالة شوب نزاع بين دولتين
من الدول الاعضاء فيها ، فهي
تسمى لازالة هذا الخلاف ان كان
بين دولتين صغيرتين ، فاذا كان
بين دولة كبيرة واخرى صغيرة
فان الهيئة تسمى لازالة الدولة
الصغيرة ، أما اذا نشب خلاف
بين دولتين كبيرتين ، فان الهيئة
نفسها تصعب في خطر ، اذ يتجه
التفكير الى ازالتها هي !

.....

كان النائب « برتو » يلقي
خطبة في البرلمان الفرنسي ، فقاطعه
زعيم المعارضة بقوله :
- انزل عن المنبر ايها الراعي
الشهير !
فصاح برتو : كيف يستطيع
الراعي ان يكون صالحاً ما دمنا
أنت كيش القطيع

(محمد الاول) ومنها السماوي (محمد
الثالث) ولذلك اعتقد ان اظهار الدكتور
يوسف ادريس للصورة الداخلية أو الحقيقية
بهذا الاسلوب لم يكن مقنعاً .

وكتب الأستاذ احمد بهجت في الملحق
الادبي للاهرام يوم ٤-٣-١٩٦٦ « كان
كل منهم يدافع عن نفسه بحماسة ويقنعنا
(وتلك مقدرة من الكاتب لكن اين روياءه
الخاصة) ان تعاطف الكاتب مع الضعف
الانساني والمخطئة وزينته بين الحقيقة والظل
موقف لا نكره عليه ما دام لا يؤدي الى
هلهلة الحقيقة ، لكن موقف الكاتب في
الهزلة الارضية ، يؤدي الى تخزيق الحقيقة .
ان ابطاله يهتفون بحياة الميراث أو
الاستغلال مثلما يهتفون بسقوطه بنفس
الدرجة والحاررة والحماسة والافتقار ...
ثم سكون بارد مروع يؤدي في نهاية المسرحية
الى اختيار الطبيب للجنون كحل هروبي
يرتاح فيه .

وغلال سكون المحاكمة قضت المسرحية
نحبها وكانت الحقيقة ممزقة ومستبعدة ومهيسة
الجناح ولم تكن روياء الفنان تقف معها أو
يجوارها وهو المكان الذي ينبغي ان تقف
فيه هذه الرواية دائماً رغم كل ما يقال عن
حيرة الكاتب .

والحقيقة ان كل ذلك صحيح تماماً فبين
التحديد الفكري الواضح في القصة القصيرة
(فوق حدود العقل) التي هي أصل المسرحية
والمسرحية التي يقف الكاتب فيها وسط
كل الطرق ، سار يوسف ادريس شوطاً
طويلاً منذ ان كتب قصة « اللعبة » ثم بقية
المجموعة التي اصدرها في مجموعة (لغة
الاي آي) . ولذلك فيوسف ادريس يحتاج
الى شرح طويل نرجو ان نرجع له مرة أخرى
بالتفصيل ..

بيت المتأاضي والحناظر

عبد الله عبد العزيز الدويش

= جار الزمان ودار دولاب الاقدار
وتغيرت فيه الاكابر والاصغار
يا عيني كم شفتي من التاس عيار
ويا رجل كم طفتي مع الدرب مشوار
كنا بوقت فأت والبال محنار
التي خيرناهم بذاك المهمل صار
التي تبنا بالمسرة والاذكار
أهل الكرم والجود في الموسم الحار
حارت ببي الافكار مع كل معيار
أيام وقت الغوص كنا والاسفار
الى ضوانا الليل طار الكرى طار
الغوص يا هل الغوص لو كان مدرار
الى رسوا بالخير والخشب سنيار
هذا بغوص وذاك يفلق المحار
وهذا يبرخ ببي يساني للاهجار
على سفنهم لي رست قبل الاسجار
لي اذن المؤذن قبل طر الاتوار
وقت الفلج الصبح والشمس مظهر
يرجون فلق الدانة التي لها كار
ما قال فيهم قط يوم ولا بار
كسب الرزق ما هو بعجب ولا عار
والله ما انسى يوم انا كنت بحار
الداويا منصور اققا بالانشار
وتسير علا والهو دار له دار
عشنا بوقت فيه ليعات وامرار
النوخذا بالغوص طالبك جبار
وانت الذي ما بين الاثنين محنار
التفت سال او غار به كل من غار

وافتر دولابه على كل جابر
حتى غلبنا بين غابر ونابر
ويا نفس كم ذقتي العنا والمرابر
ويا قلب كم غارك من الوقت غابر
واليوم اشوف غير عشاير
في فعلهم سادوا على كل صابر
بانث معالم ابعالي الزباير
يجلون وقت الضيق عن كل حابر
وازريت ادير الراي في كل ساير
نعوم في بحر غيبه غزاير
والعين عن لذة وسنها سهاير
ميران حداثا به امور عاير
تشبه سفين لبن يام وشاير
وهذا يعول للربع ببي بخاير
يقول هذا امير كله خاير
مثل النجوم الثاقبة بالنضابير
مول عليهم بالفرح والبشاير
الكل منهم يطلب الله سراير
طواشهم سوامها بالقرابير
الا وماخذ بالخمل صراير
ذا رزقنا من يوم حنا صغائر
في وصفهم والتي يقولون صاير
خلاك في بندر « كاليكوت » باير
وارسى اميندر بالشويخ الاباير
بين السفر والغوص كنا طراير
ويدورك وقت السفر بالعواير
ضائق عليك الواسعة العباير
وافتر دولابه على كل جابر



الفوضوية

في الأدب

في ان الحياة ميدان للكفاح بين المخلوقات والبقاء فيها للاصلح

كان لهما أثر بعيد في زلزلة الايمان بما جاءت به العقائد من تفصيل لأصل الانسان وحض على فعل الخير وبذل العون للغير ، وقد كان مذهب داروين بداية الطريق الى ما يعانيه اليوم المجتمع الغربي من فوضى اجتماعية وخلقية وفي اركان العالم بأسره ، فقد مضى الانسان في طريق الاحاد ونفذ القواعد الثابتة للمخلوق السليم الى حد لم يعد يستطيع معه ان يرجع الى حيث بدأ لتقوى فيه العقيدة الدينية .

ان الادب صورة للعصر الذي يعيش فيه . وأدب العصر الاوروبي هذا في امريكا وأوروبا يردد صدى ما يحتاج الجماعات من شك في قيمة الحياة واستهانة بالمر الدين ودعر وقلق نتيجة لجنون القوة والسرعة الذي يسيطر على حياة الامم والافراد . ولقد زاد

يوثر في نفسه ، ولا الحياة اللينة المستقرة عادت تشبع نهه الى التجديد ، ولا الأدب التي تعنى بالعاطفة والمشاعر عادت تهز جوارحه ، فلان تقدم العلم الجنوني زلزل فيه كل عقيدة ، وجعل منه ذرة في عالم يهرب قوة الذرة ويرى فيها أعظم ضمان للبقاء .

والوزر في ذلك كله يقع على عاتق « داروين » الذي خرج عام ١٨٥٦ بكتابه « أصل الانواع » ، وذهب فيه الى ان العالم لم يتلق من أجل الانسان بل ان الانسان صدقة من صدق تكامل الظروف الطبيعية . واصله حيوان وضع من ذوات الخلية الواحدة ، ثم أخذ يتطور في احقاب طويلة الى ان بلغ ما هو عليه اليوم من الرقي ، وهي ما يعرف بنظرية النشوء والارتقاء ، وهي نظرية أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة . الا ان الثوب العلمي الذي ألبسها داروين آباء ومذهبه المتفرع عنها

ومفكره في الغرب ، وهم السنه المتكلمة يختلف امرهم عن عامة الناس فيه ، فهم ينظرون في عصرنا هذا الى كل شيء نظرة الحاد . وقد فشبت هذه النزعة والمخترعات وأهل الفكر والكتابة بعد الحروب الاخيرة والمخترعات الحديثة لا يرون في الحياة البشرية على سطح الأرض سبباً واحداً يرر بقاءها ، ولا يتقون بقدرة الانسان على استخدام الطبيعة لصالحه ، ولا بغرائزه وميله الى الخير دون الشر ، فالخالية في نظرهم لا تعدو مرحلة في ظلام ليل طويل حالكت تكتنفها المخاطر والاهوال . ان مأساة المجتمع في القرن العشرين ، وخصوصاً المجتمع الغربي ، ترجع الى ان الانسان قد جعل نفسه بمزمل عما كان يعتقد اجداده ، ثقافته اليوم وعاداته ونظراته الفلسفية الى الحياة تقوم كلها على ازدراء القديم ، والتهوين من شأنه . فلا الدين عاد

ان تاريخ الجنس البشري ليخلو من ذكر حضارة انسانية بلغ انحلالها ما بلغت حضارة هذا العصر ، ذلك الانحلال الذي بدا واضحا في كتابات الفلاسفة والادباء ، في اواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، وبرز مظاهره هو ضعف الايمان برسالة الانسان على ظهر الأرض ، بل فقدان الشعور بأهمية الحياة ذاتها .

وهذه معان قد تسمو عن مدارك جموع الناس التي تحيا حياة رتيبة لا تخرج عن اداء العمل اليومي ثم طرق بعض سبل التسلية ، ثم الاستغراق في التوم . فمن الصعب ان نقبس درجة استجابة هؤلاء لكبرى الحادثات في هذا القرن . كظهور المفاعلات الذرية مثلا . ومن الصعب ان تلمس عن كتب ما قد يعثرهم من قلق أو تشاؤم . ولكن ادباء العصر

الإنسان الحيواني

بقلم: هارايه السلطان السالم

وقد تكون أيضاً لوحة جنسية فاضحة ، فليس الغرض من الرسم الحديث سوى إحياء مغذ للصور التي تكمن في اعماق اللاشعور .

ومن الفلاسفة الذين زعموا حركات الإصلاح الاجتماعي والتقدم العلمي في أوروبا ، جان بول سارتر الذي يرى أن من الجبن ألا نعرف بتفاهة الحياة وغموض ما بعدها ومن الجبن أيضاً ألا نوطد العزم على تقبل هذه الحقيقة . وما دام الأمر كذلك فليكن اعتمادك في هذا العالم على نفسك دون غيرك ولتتمسك سيد وقتك . ولتكن كل عاطفة فيك وكل مرض أو صحة في الجسد نتيجة لارادتك . فانه ليس هناك قوة خارجة عنك تسبب لك ذلك .

ومذهب سارتر هو نهاية الجمود للادعاء ، وغاية الهدم لكل قيم الخلق البشري ونتيجة لتصور الإنسان في العصر الحاضر بخوف الموت وما بعده وبتفاهة الحياة التي يجاها على صورتها الراهنة . وهذا المذهب وكل ما سبقه من مذاهب الهدم إنما كما تنمو الأعشاب الطفيلية في الحقل فتذهب بزرعه ، ترعرعت هناك حتى ضعف الزارع الديني ونبت الناس تعاليم المرسلين ووضعوا الكتب التي تضيء بكلام الخالق على أرفف الكتب ، وخلصوا إلى المادة يبغون الحصول على أكبر قدر منها وإلى الحياة الدنيا يحملون منها أول هدف وآخر غاية .

وان ما تنذر به الأمور من حوادث جسام لا بد واقعة في الغرب لتجعلهم في يقين من أن حضارتهم تنهياً للقبر .

هداية سلطان السالم

لا يتقيدون بعرف أو تقاليد ، واسس الخلق التي وضعها الأديان ليس عندهم إلا غطاء واه يجب نزعهم قبل الكتابة عن الإنسان ، حتى تبدو حقيقته واضحة لا رياء فيها . وهي أنه في الأعماق حيوان لا أقل ولا أكثر . وهكذا نرى

كل قصصهم وأكثرها تدور حول الغريزة الجنسية حين تتطلق من عقلمها ، وما أكثر ما نرى في تلك القصص من مواقف فاضحة تنبؤ عن كل ذوق سليم ، وكلها تعبير صريح عن شهوة الجسد وصرخة الغريزة .

وبعض الكتاب اختاروا في قصصهم وكتاباتهم وضعاً لانسار يميلون إلى العزلة ، وبهذهم الشعور بالأمم ، وينأى بهم الشذوذ الخلقي عن مستوى البشر العادي ، هؤلاء الذين يصورهم بعض الكتاب في شيء من المحاورة إنما استعملوا صورهم بما حرقهم من حياة أكلها خلق وبهم وتناوهم مما يتخيه المستقبل .

حتى فن الرسم انتابه تلك العلة فأصبح الرسامون لا يرون في قواعد الفن القديم التي ترمي إلى إبراز ما في الطبيعة من جمال وما في الخلقة البشرية من جلال أو معنى روحي عميق ، أطلقوا هم الآخرين غراثرهم من عقلمها ، واتخذوا من الرسم وسيلة للتعبير عن الرغبات المكبوتة في اللاشعور فما عليك إلا أن تمسك بالريشة . وتغمسها في السائل الملون وتضرب بها على سطح القماش بما تشاء غراثرك من خطوط ، وليكن بعد ذلك ما يكون ، فقد تكون النتيجة مجموعة منة من الالوان

وفي نفسه . وساعد على ذلك كارتا الحرين الماينين بما تمخضت عنه من أهوال وفواجع جعلت الفرد هناك لا يثق بفائدة ولا بعلامة جيله وكتابه ، ولا حتى في نفسه ، وأصبحت فلسفة الهدم - هدم كل عقيدة وقاعدة

من قواعد الخلق السليم - هي الفلسفة الوحيدة التي يقبلها ، إذ ثبت له أن حياته لا تساوي رصاصة واحدة ، وأن الصراع في سبيل البقاء لا يعترف بسمو في العقيدة أو كمال في الخلق . فما عليك في المجتمع الحديث الأوروبي إلا أن تشعل كل سلاح من الخشب والعدن والتخلي عن أرفع صفات البشرية لتعيش . وهذا حال يرتد بالإنسان إلى عهد الضمجة الأولى وفترات

ما بين المرسلين ، حين كان يسود الناس قانون الغاية ، القوى يأخذ

دائماً والضعيف يفقد دائماً كذلك وان كتاب الغرب اليوم لهم أرباق تلك الفلسفة الجديدة . فهم

هذا الخطر شدة بعد ان نشر « سيجموند فرويد » تعاليمه الجديدة هناك عن النفس البشرية ذاهباً إلى أن للإنسان حيوانية واخرى اجتماعية مهذبة وان الرغبة الحيوانية أو الغرائز البدائية للإنسان هي التي تتحكم في سلوكه وهي التي توجي إلى القتل ما يكتب أو يرسم . ولقد حطمت مذهبه - فرويد - هذا عقيدة الإنسان في نفسه واصبح المؤرخون والكتاب الأوروبيون يرسمون شخصية الإنسان كآلة تحركها الغرائز الحيوانية الدفينة . أما العقل والارادة فهما مظهران لهذه الغرائز ليس لهما وجود مستقل بهما ..

وقد جاء مذهب فرويد القاتل بان اللاشعور هو المسيطر على سلوك الإنسان بعد مذهب داروين في التشو والارتقاء بسبعين عاماً أو تزيد فكانا معوي هدم لعقيدة الإنسان في ربه

كنت من رعايا

كنت في الثانية عشرة من عمري عندما باعني ابي في سوق الرقيق ، كما تباع صغار الدجاج والكلاب ، أو صغار الحمير . ولست الومه على ذلك ، فقد كانت الدموع تملأ عينيه عندما باعني . كنا نعيش في « تراقية » شرقي المملكة الرومانية ، وارهقت والذي الضرائب الفاحشة في ذلك العهد الذي كانوا يمتصون فيه دماء فقراء الشعب ليتقدموا تلك الأموال أتاوة الى قبائل الهون التي طيقت شهرتهم آفاق العالم .

وعندما تريد الأم ان تسكت طفلها الباكى ، يكفي ان تقول له : اسكت .. فقد جاء الهون . فيسكت الطفل خوفاً وفزعاً . وكنت ارى رجال الهون في اجلامي ، فاصحو من نومي فزعاً وأنا اهتدي من الخوف .

وكان الأرومان الحاكمون يرفعون سكان مدينتنا المساكين على تقديم مواشيهم الى الهون ليأمنوا شرهم .

وفي ذلك الوقت حملنا ابي المسكينة الى قيرها ، وبقي والذي لوحده ومعه ستة أطفال وبقرة واحدة ، وكان لابد له لكي ينهش باعيا هذه الأسرة ، من ان يصحب الى السوق احد هؤلاء الاطفال او البقرة .. وكنت انا الذي وقع على الاختيار .

احلني والذي على ظهر سفينة اوصلتنا الى القسطنطينية . وهناك دهن قدمي بالزيت حتى تبدوا نظيفتين لامعتين . وعرضني للبيع



الجلد الاسود ، وجيء بي الى ماكسيمينوس الذي اصطحبني معه الى حديقة الدار حيث كان هناك ثلاثة اولاد يلعبون تحت سقفة ، وقال السيد لاولاده :

— هذا هو مملوككم .. واسمه تيوفيل .

كان الاولاد في مثل سني تقريباً . اثنان منهما بكبرائي بعض الشيء .. أما الثالث فاصغر مني بقليل . وكانوا يشبهون أبيهم ، اذا استطعنا تشبيه الصرصور بالجاموس ..

وكان سرور الاولاد قدومي غامراً ، كما شعرت بقلبي يتحقق لهم ، انهم يحتاجوني كرفيق لهم في العابهم فقط ، ولكنني بعد فترة وجيزة اكتشفت انهم ينظرون الي نظرتهم الى خروفي او كلب صغير او قطة تصلح ان تكون رفيقة لعب لطفلس مدلل شرس الطباع .

اخذوا يتعلموني هدفاً للرماية ، يطلبون مني ان اقفز ، ثم

يرمونني بشمار الليمون ، وكان اللب يطيب لي ما داموا لا يعيقوني الهدف . وسادهم الفرح والخيور عندما اخذت اصرخ الما من الضربات الموجعة ، والقيت بنفسي على العشب لأتحدى ضرباتهم الموجعة . تجمعوا حولي ويدهم اغصان مليئة بالأشواك وراحوا يضربون بها قدمي ، وكانت الآلام أكثر مما احتمل ، فهاجمت اكبرهم سناً ودقته بقوة ، فاصطدم رأسه بشجرة . وبدت الدهشة على وجوه الاولاد . وركض الكبير الى البيت وهو يصرخ باعل

صوته ناديا المربي . وفي تلك اللحظة علمت انني اقدمت بقاء على حماقة لا تتغير . وتحت لي انهم طلبوا مني تفسيرا ، اذا سأفص عليهم ما فعلت بي هؤلاء الاولاد الاشرار . وفي تلك اللحظة وصل المربي . وعلم علم بما فعلت ، راح يهتلق في وجهي مستكراً ، قلت له وأنا اجهش بالبكاء :

— سيدي ، لقد اتيت هؤلاء الاولاد ..

لكنه صرخ في وجهي عنقا : — انك مملوك هنا ..

وأنهال علي ضرباً ، وعلى صوت صراخي خرج الأرقاء الآخرون من الدار ، وجاء احدهم بسوط ، وراح يضربني بوحشية حتى سالت الدماء من جسدي ..

ومنذ ذلك اليوم اخذوا يتسلون بمضابقي ومعاكسي واستارتي ولو انني استطعت ان اخفي غضبي وأمنع دموعي ، لتفقدوا عنصر التسلية في استارتي ، ولا تصرفوا عني . ولكن اني لأحد في مثل عمري ان يسيطر على اعصابه ومشاعره ؟ وهكذا أصبحت هدفاً لتسليلهم .. المملوك غضباناً .. انه شيء مضحك .. لقد كانوا يستفزونني الكلاب المربوطة بالسلاسل .. ليمتعوا بغيضهم .

ولم يكن الاولاد يمزحون علي ايدائي امام انهم وأبيهم ، بل كانوا يفعلون هذا عندما نكون لوحداً ، او في حضور الأرقاء الآخرين . وهناك عرفت حقيقة مشاعر المملوك التي تتغلغل في اعماق نفسه . كان اولئك الرقاء يشجعون الاولاد علي ايدائي ويشاركونهم ضحكهم وسرورهم .

وكان من احب الالعاب الي هؤلاء الاولاد ان يلونوا وجهي بالألوان وأسوأ انواع القاذورات الأخرى او يضعوا حبالاً حول رقبي ليلعبوا لعبة الجلايدن ، ويتسلق اكبر الاولاد شجرة ويديه

المجنون

ترجمها عن الألمانية : لؤي طه الماردني

في سوق الرقيق حيث كان هناك حوالي الثلاثين من في مثل سني معروفين لليبس مثلي . وجاء باع ملابس يظلب شرافي ، ثم جاءت امرأة عجوز تلف حولها وشاحاً من الحرير الأخضر ، ووقفت الاثنان يساومان ابي علي شرافي ، فظلب عشر قطع ذهبية ثمنا لي ، لكنهما غمزاً بأعينهما استهزاء وسخرًا منه وانصرفا .

وبعد ذلك جاء رجل بدا انه من اعيان المدينة ، يسير بكبرياء بملابسه الابنية وامامه اثنان من عبيده يمدان الناس ليسقطا له الطريق . ولم يكذب سأل عن مخي حتى طلب والذي قطعتين ذهبيتين فقط ، فدفعهما السيد في الحال دون مساومة ، وهنا شق والذي بالكاء وراح يقبلي ويقول :

— لتتولأ عناية الله يا ولدي ، فكر في امرتي عندما يجالطك

الحظ ، لقد رضيت ان اقدمك لهذا السيد بهذا الثمن الجسدي حتى أضمن لك حياة سعيدة في بيت غني .

وكانت تلك آخر مرة رأيت فيها والذي الخنون .

كان السيد الذي ابتاعني رجلاً مهيباً اسم البشيرة وعندما يدير رأسه بكبرياء ، يبدو كأنه تسر متعجب ، وقد ذكرني وقع اقدامه وهو يسير ، بوقع اقدام صبيان « تراقية » وهم يسيرون بأحذيتهم الجديدة في العيد ، في طريقهم الى الكنيسة .

وعندما وصلنا الى بيت هذا السيد ، وكان اسمه ماكسيمينوس اغتسلت وارتديت ثوباً ابيض جميلاً ، وطوقوا خصري بنطاق من



وعندما كنا نجتمع لتناول الطعام في البيت . كانوا يصقون في طعامي ، أو يلقون فيه الاقدار . حتى لا آكله ، وفي الليل يضعون جلود القنأذ في فراشي ، ويصبون الصمغ على شعري . وكان علي ان اتحمل هذا العدوان كله ، لاني مجرد مملوك ..



وكم توسلت اليهم وانا أجهدش باليكاء ، كنت اقول لهم : يا سادتي الصغار ، دعونا نلعب بوثام ، بلا مضايقات واذي انني اعرف العابا كثيرة ساعلمكم اياها ..
وفعلا كنت اعرف العابا كثيرة وكنت اعلمهم اياها ولكنهم سرعان ما يشبعون منها ، ويعود بكائي وعويلي المصدر الوحيد لسعادتهم واللعبة المفضلة لديهم ..

في احد الايام ، عند الظهر ، وكانت قد مرت عشرة ايام حافلة على وجودي في ذلك البيت ، التهمت طعامي بسرعة ، وهربت من هولاء الاولاد حيث اختبأت في احد اركان الحديقة ، وفكرت ان لا اخرج من مخبأى هذا حتى يستدعي الاولاد معلمهم ويعود بهم الى المنزل ، وزحفت وسط احد الادغال الكثيفة ، ثم اضطجعت هناك ، وأخذتني سنة من النوم ، ولا ادري كم مضى من الوقت عندما قفزت فزعاً من الم رهيب في قلبي .. لقد وضعوا نشارة الشب تحت قدمي واشعلوا فيها النار .. وفكرت من بين الادغال لأجد الصغار الثلاثة وقد وقفوا متحينين وهم يمكنون بطونهم من شدة الضحك ، ولم استطع ان امسك اعصابي فهجمت عليهم والقيت باحدهم على الارض الى اليمين ، والقيت بالآخر الى الشمال ، ولطمت ثالثهم لطمة شديدة على وجهه وامسكت بشعر رأسه والقيته على الارض .. وبعد ان القيت ثلاثتهم على الارض ، جلست على العشب ، واخذت أضع اصابعي في فمي ابلمها وامسح بها الحروق التي اصابته قلبي وانا ابكي بحرقه .

وعلى صوت صراخ الاولاد وبكائي ، جاء سكان الدار ير كضون الى الحديقة ، وكان سيدي يقف في شرفة البيت يتحدث الى احد الزائرين ، عندما سمع الصراخ ، وسأل عن سببه ، فكان الجواب ان جاء احد المماليك وامسك بي ثم جذبني بعنف حتى وقف بي تحت الشرفة وقال لسيده : ان هذا الصبي النافه كان يضرب السادة الصغار ..

ورأيت السيد العظيم وقد اصفر لونه من الغضب . ولأحظت انه حاول اخفاء غضبه امام الزائر الغريب فأوما برأسه مطالبا ابعادي ولكن تلك الائمة كانت تعني في الوقت نفسه ان يجلدوني

لطرف الحبل الملفوف حول عنقي ، ثم يبدأ بسحب الحبل وهو على الشجرة ، بينما يمسك الصغير بيدي من الخلف وكان صراخي اليأس يزيد في سرورهم من هذه اللعبة .

و كانت لهم لعبة شيطانية أخرى ، هي لعبة الشحاذ الاعمى ، اذ يصبون عيني ويفودوني الى حوض الماء الذي تتوسطه نافورة وهناك يديرون ظهري ناحية الماء ، ثم يقذفوني في الحوض وانا معصوب العينين . وفي احدى المرات وضعوا على ظهري كلبا ، وربطوه ربطا محكما ، وراحوا يضربونه بقسوة ، مما جعل هذا الحيوان المسكين بعضني من رقبتي ومن اذني بسبب آلام الضرب الذي كان يناله .

وفي مرة أخرى ربطوا ساقي الى بعضهما البعض ، وطلبوا مني ان اواصل السير قفراً ، في اتجاه معين ، حتى اذا وصلت الى اشجار الورود ، قذفوا بي وسط اغصانها المليئة بالشوك . وعندما كنت اصطحبهم في نزهتهم على شاطئ البحر ، كانوا يقذفون بعضا الى الماء ، ويطليون مني ان اجلبها لهم . وكانت هذه المهمة بالنسبة لي في غاية السهولة ، فقد كنت أجيد السباحة كما تجيدها السمكة ، ولكنني عندما كنت استدير لأعود الى الساحل ومعني العصا ، كانوا ينهالون علي بالحصى .

بالبساط . وجثوت على ركبتَيَّ وقلت وأنا أجش بالبكاء :

— سيدي .. لقد احرقوا قديمي ..

ولكن المملوك لم يدعني أم حديني . بل جرنني بعيداً عن الشرفة وهناك اجتمع على الارواق وضربوني ضرباً مبرحاً حتى لم اعد قادراً على الحركة . كانت دموعي فقط هي التي تنهمر بدون انقطاع ..

وهم يقولون :

— خذ هذا .. ارتد صفة على وجهك ؟

آه ياسيدي .. انا اشعر تماماً بأنني ساموت في هذه الدار ..

وفي تلك اللحظة . وبينما كنت اشكو سوء حالتي هذا الضيف ظهر سيدي ماكسيموس . وحيا الزائر ، وصافحه . فسأله الضيف

— هل لك ان تبع لي هذا المملوك الصغير ؟

واجاب ماكسيموس :

— بكل سرور ، انك تؤذي لي خدمة كبيرة لو انك قبلته

كهدية صغيرة مني ..

واجاب الزائر :

— كلا .. انما سأدفع لك قطعة ذهبية واحدة حتى يكون

الأمر موضوع بيع وشراء .

واجاب ماكسيموس بلطف :

— كما تشاء ..

وبعد ان تجول الرجلان في الحديقة وهما يتحدثان بعض الوقت

اقتادني سيدي الجديد من يدي وخرجنا من بيت ماكسيموس .

وبعد ان اجتازنا ثلاثة او أربعة شوارع ، وصلنا الى بيت يتألف من

طابقين اقيما من الخشب . بينما اقيم جزء من طابقه الاول بالحجر

وكان بيتاً جميلاً .

انني لن انسى ابداً ذلك اليوم ، كان الرجل الذي اقتدني يدعي

ديتو بريسكوس . وهو يعيش لوحده في غرف الدور الارضي

من بيته . بين كتبه واوراقه . وتقوم على خدمته امرأة يونانية عجوز

وهي التي اقتادني عند وصولي الى الدور الثاني حيث هبات لي

فراشاً وثياباً ودعت الخراج التي في جسدي بالزيت .

وبعد ان شفت من جراحي ، أمر بريسكوس ان يصنع لي

ثوبان ، أحدهما من الصوف الابيض الموشى بمخاطفي من الحرير

الاحمر ، والآخر من القطن . حتى اؤتدي في الحفلات والمناسبات والاعباد ، والآخر

من الخام الابيض ارتديه في الايام العادية .

وفي الصباح اصطحبني السيدة اليونانية العجوز لشراء بعض

الحاجيات من السوق ، ثم ذهبت بعد ذلك الى المدرسة التي اخفي

بها سيدي الجديد ، وبعد الظهر ، ارتديت الثوب المخصص

للحفلات وصحبت سيدي الى قصر القيصر .

وكان من واجباتي المعتادة ان احمل اوراق البردى واسير بها

خلف سيدي . وكنت اشعر بالفخر وانا اؤدي هذه المهمة !!

لقد كان سيدي رجلاً طيباً . وكثيراً ما كان يربت بيده الرحمة

على وجهي . كما كان يتاديني على سبيل الدعاية والتجيب باسم

(زينا) . وسرعان ما سمعت السيدة اليونانية العجوز بهذا الاسم

وراحت تتاديني به . واخيراً بقي هذا الاسم عالقاً بي . وعرفت به .

وعندما نالت الشيوخه من العجوز اليونانية واصبحت عاجزة

عن العمل . زادت الواجبات الملقاة على عاتقي . فاصبحت مسؤلاً

عن تنظيف ثياب سيدي ودهان حذائه وشراء الحاجيات واعدادها

المصابيح وتنظيف الدار وازالة الغبار عن الالاث وغسل الصحون

وحاجيات البيت . وكنت اقوم بكل عمل من تلك الاعمال بمحاسة

فقد كان حبي لسيدي يزداد سنة بعد أخرى . وكنت اولي متابعة

ومضت اربعة ايام وانا عاجز عن النهوض . حتى استطعت

ان اجر نفسي جراً لاخرج الى الحلاء . وكان الوقت قبل الظهر ،

وهو الوقت الذي يكون فيه السادة الصغار مشغولين بدرسهم .

ولا يخرج فيه احد الى الحديقة . وسرت قليلاً . ثم القيت بنفسي

على العشب لاتمتع باشعة الشمس . حتى الحيوانات المريضة تبحث

عن اشعة الشمس .

وشاهدت وانا مضطجع على العشب . ذلك السيد البدن الذي

كان يقف مع سيدي في الشرفة منذ اربعة ايام . شاهدته يسير في

الحديقة ، ذاهلاً عما حوله . وكان يرتدي ثوباً ناصع البياض

لم يكن فضفاضاً كتياب الشيوخ ، لكنه كان يشبهها .

ورأيت السيد يشبه ناحي . ويقف امامي . وأخذت افكر .

ليس واجباً علي ان اقف امامه الان ، فهو ليس من سكان الدار

ثم انه لا يستطيع ان يفعل لي شيئاً .

لكنه ظل واقفاً امامي ، وانبث صوته لطيفاً جانباًم هو يقول :

— هل انت مريض ايها الصغير ؟

وامتلات عيني بالدموع ، وقلت وكأنني اتحدث الى والدي

أتمناً :

— سيدي . لقد ضربوني بقسوة . رأيت وظهري يؤلمني

كثيراً ، وآلام قديمي المحترقتين اكثر واكثر .

ورفعت ثوبي لاكتشف له عن ظهري الذي كان مليئاً بآثار

البساط الحمراء والزرقاء .

وراح هذا الضيف الغريب يتألمي بصامتاً ، فرحت اشكو

اليه ببراعة الطفولة قائلاً :

— انهم يعاملوني معاملة الكلاب . بل اسوأ من هذا بكثير

انهم يشعلون النار في قديمي ويضحكون من آلامي وواجاعي .

وليس هناك من يعاقبهم على هذا .

وبعد ان القيت بنفسي مضطجعاً في فناء الدار لاستريح من

الضرب المبرح بأثني هؤلاء الصغار لضربوني وبركلوني بارجلهم



والتاريخ ، فقد كنت اعرف افلاطون وارسطو طاليس وهيرودوتس وبلوتارخ وسيوتون ، وغيرهم من الفلاسفة والتحويين ، واصبحت ملماً بجميع العلوم تقريباً ، وكان سيدي يسألني دائماً ، وهو منصرف إلى الكتابة ، عن الاسماء والمواقع والتواريخ واعداد السنين .

وصرت حجة في السجلات القصيرة ودليلاً حياً لمحتويات المكتبة القصيرة ، وقاموساً جغرافياً ودائرة معارف للأسماء .

وفي صباح احد الايام ، كانت دهشة كبيرة لأن سيدي لم يكلمني ، فقد كان الحديث يتصل بيننا منذ الصباح عندما احلق له ذقنه ، ثم اقدم له فسطوره ، فيقص على ما رآه في احلامه ، مع اننا كلياً لم تكن نوؤمن بالاحلام ، لكننا كنا نجد تسلياً في روايتها وتفسيرها .

وفي ذلك الصباح ، وكان يوماً من ايام الربيع ، لم ينس سيدي بكلمة ، وعندما وضعت له الفطور على المائدة ، تساءلت كالعادة :

— كيف كانت ليلتك يا سيدي ؟ وبماذا حملت ؟

ولكن سيدي لم يجبني . بل كان يحدق في وجهي بين الحين والآخر وقد بدت على سحته سيمااء الحزن العميق . ورحلت اسائل نفسي :

— ما الذي حدث يا ترى ؟

ورحت استعرض تصرفاتي مدققاً ، خشي ان يكون قد وقع مني افعال أو غلط ، لكنني كنت حريصاً على أداء واجباتي على الوجه الأكمل .

واخيراً ، سمعت صوته وهو يسألني :

— كم لدينا من المال يا زيتا ؟

فقلت :

— كما قلت لك أمس يا سيدي ، خمسة وسبعون سوليدى وثلاثمائة وثلاثة سيز تيرزه .

وسأل :

— وكـم يوجد في الكيس الجلدى الأحمر ؟

وأجبت :

— ستة وتسعون سوليدى — وهو يزيد على قيمة دينار من الذهب .

وكان الكيس الجلدى الاحمر هذا موضوعاً في كوة خاصة وضع فوقها تمثال لرأس السيد المسيح تحت من الخشب .

وقد حدثني سيدي مرة عن هذا الكيس ، فقال انه يخص رجلاً لم يذكر اسمه ، وأنه مدين لذلك الرجل بالمبلغ الموجود في الكيس .

ومع انني كنت اتولى جميع شؤونه المالية ، فاني لم اسأله بعد حديثه ذلك عن الكيس وصاحبه .

وقال سيدي بصوت خافت :

— أعطني هذا الكيس ، وضع على ما فيه اربع قطع ذهبية

خاصة لكبيه فاهم بترتيبها وازالة الغبار عنها .

وعندما قال معلمى لسيدي بريسكوس ان ذاكرتي جيلة وغير عادية ، اراد سيدي أن يجتري ، فقرأ على سطرلين من البياذة هوميروس ، وطلب مني ان ارددها بلبسة ففعلت ثم زادها .

إلى اربعة اسطر ، ستة اسطر ، فكنيت اراقة هذا بعد ان انتهى من تلاوتها مباشرة دون ان اعطى في كلمة واحدة . ولم أكن انا نفسى أعلم كيف استطعت ان افعل هذا ، كنت اشعر فقط ان الكلمات تنطبع في ذهني دون ان ابذل اى جهد . وعندما كنت اركز ذهني على ما أقرأ أو اسمع ، كنت احفظه حالاً ولا أنساه .

وفي السنة الثالثة اخذ سيدي يشركني في كتاباته فحصلت من ذلك على فوائد كثيرة .

وكنيت اراقة إلى مكتبة القيصر ، حيث كان هناك رجال مثقفون يعملون في نسخ الكتب ، وكانوا يتحدثون معي دائماً في موضوعات الكتب التي كانوا يعملون بنسخها ، وقد تعلمت الكثير من مناقشاتي معهم ، ومنها عرفت ان الممالك يقسمون إلى قسمين ، بعضهم يصيغ حراً بعد ان يخدع مالكة ثمانية اعوام ، والبعض الآخر يظلون مملوكين لآسيادهم إلى الأبد ، ولم استطع ان اعلم إلى اى فئة من هاتين الفئتين انتمى . ولكننى على أية حال لم أكن ارجب قط في الانفصال عن سيدي .

وفي غصون تلك السنة ازدادت الروابط وثوقاً بيني وبين سيدي ، فقد اخذ يجئني الآن ، ليس من اجل عمل في خدمته فحسب ، بل لأنه اصبح في وسعه ان يتحدث معي في الفلسفة

آخري حتى يكون المجموع مائة قطعة .

وبعد ان نقلت ما امرني به ، وضعت الكيس امامه على المنضدة . ووقفت مضطربا عند الباب وأنا انظر اليه وهو يتأمل الكيس . ثم وقف وراح يتشمى ذهابا وجيئة في الغرفة .

ورحت اسأل نفسي عن سر هذه التقود وأنا أتأمل سيدي . انه لم يعد بدنيا كما كان من قبل . ولاحظت ان جيئته قد امتلأ بالتجعدات . شانه كلما كان مشغول الفكر يأمر من الأمور . واخيرا ، وقف أمامي وظل ينظر إلى برهة ثم قال :

— زيتا .. يا ولدي ... أعترف أى يوم من الايام هذا ؟

وأجيبته على الفور :

— انه يوم السبت الثالث من ابريل (نيسان) . وفي هذا اليوم أقام سيلويكوس نيكسانور مدينة انتيوخيا . وفي هذا اليوم بدأ اولاد هيرودس الكبير يتسلم سلطاتهم . وفي هذا اليوم مات سيدنا المسيح على مرأى من بعض الناس .

فأطرق بريسكوس وقال :

— هذا صحيح ..

ثم راح يذرع الغرفة من جديد جيئة وذهاباً ، واخيرا وقف أمامي وقال :

— ابحث لي هناك بين الكتب التي ادون فيها يومياني ، عن الكتاب المتعلق بعام (٤٤٠) ، واتزح الختم الذي عليه . وافتح الفصل المتعلق باليوم الثالث من ابريل (نيسان) واقرأ على ما فيه .

واستخرجت ذلك المخطوط ، ونقضت عليه الخيوط ، ونزعت

الختم الذي عليه . ورحت أقرأ بصوت عال :

— « في الصباح استدعاني القيصر فتشاورنا طويلا حول معاهدة صلح مارجوس . ولكن ملك الهون لم يتقيد بتسليم المعاهدة ، كنا نحن الذين نتقيد بنصوصها فقط . وبل لبلادنا عندما يحول هؤلاء البربر رؤوس خيولهم نحونا .

بعد الظهر ذهبت إلى ماكسيمينوس فوجدت هناك مملوكا صغيرا كانوا يعاملونه بقسوة شديدة . فأخذته عندي ، واسمه تيوفيل ... »

لقد تعلمت صوتي وأنا أقرأ هذه الفقرات الاخيرة ، والفتحت إلى سيدي ، فوجدت الدموع تبلل عينيه وهو يقول :

— لقد كان مثل هذا اليوم منذ ثماني سنوات ..

ثم نظر إلى ملياً وقال :

— انك حزين ..

وشعرت كأن احدا وجه ضربة إلى صدري .. ولكنها كانت ضربة رحيمة من يدي ملاك .

ورحت أنظر إلى سيدي مشدوها دون أن أدري هل أنا في حلم أم في يقظة .

ولكن بريسكوس أمسك بالكيس الجلودى الاحمر وقال :

— خذ .. لقد اخذت هذا المال لك . ومن هذا اليوم تستطيع ان تضع على رأسك قبعة ، وان تزوج ، وان تكون سيدا نفسك . وان تلتحق بجمدة الجيش . ولك منذ الآن ان تبدأ بالتجعة كما تشاء .

وامتلأت عيناى بالدموع وأنا أقول :

— آه .. يا سيدي الطيب .

وتلصقت في حدي ، ثم تقدمت منه . وجشوت امامه على ركبتي وأنا أقول :

— لا تبعدين عنك ولا تمنطين تقودا ، دعنا نعيش معا

كما كنا دائما .

فقال العجوز بتأثر وهو ينهض :

— قف ... لا بأس ..

كان يريد أن يقول شيئا جميلا .. لقد قرأت ذلك في عينيه وملاحظه . وفي ارتعاشات شفتيه . ولكنه ابتسم واخذ يطرף بحفيفه ويهز رأسه وهو يقول :

— هل انت مجنون إلى هذا الحد ؟

فأجيبته وقد امتلأت عيناى بالدموع :

— اننى اشكرك إذ حررتني واقتضيت من عديدي الانسانية ، واشكوك لانك ايقظت في نفسي الشيوخ . انك لم تستخدم في تربيتي السياط كما يفعل الاخرون . لقد ربيتني بقلب محب .

وجعلتني أسير مزهواً بأجمل الثياب . وجعلتني أجلس معك إلى مائتيك . انك انت الذي علمتني ان الانسان يستطيع ان يمتلك الانسان قلبه فقط ..

وهو بريسكوس رأسه وهو يقول :

— عفو .. حسنا يا بني ..

ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة رحيمة وسألني :

— أتصحبني إلى البربر ؟

فقلت وقد افزعني هذا :

— إلى البربر ؟

فقال وقد بدت عليه سيماء الحزن :

— إلى أتيليا .. ملك البربر .. نعم .. اليه .. فلنختطفه

التصور .. في الالام القليلة القادمة علينا ان نحطم بالقوة ..

ثم جلس ينظر أمامه غارقا في تأملاته .

ورحت اسأل نفسي كائني في حلم لا يمكن تصديقه :

— إلى أتيليا ؟

اننى اعلم ان القيصر يبعث بسيدى إلى كل مكان . كلما

احتاج إلى فطنته ودرابته . ولكن كيف يبعث به إلى هؤلاء

التوحشين ؟

وعادت إلى ذاكرتي صور معبوثي الهون الذين جاءوا إلى القيصر

ثيودوسيوس منذ فترة قصيرة . كانوا سمر الالوان ، بشي

الخلقة . يضعون على رؤوسهم قلائس طويلة . وعلى ظهورهم

جلود الثور والسياع . بوجهه بشعة تشتم منها النفوس كأنما

على الورق ، فقد كنت أنا الذى اتولى كتابتها ، ولو ان حروفها استطاعت الحركة . لاختفت جانية على ركبها أمام عيون اتيليا ، لقد كان شيئا عجلا مهينا ، فالفقير يرجو من اتيليا ان لا يأذن

لشعبه العظيم بالاندفاع إلى اراضى المملكة الرومانية ، وهو يرجوه ان يبعث بقادته إلى القسطنطينية ليقوموا باجراء المفاوضات النهائية للاتفاق على نصوص المعاهدة السلمية بين الطرفين .

مرت هذه الخواطر فى ذهنى وأنا أسأل سيدى :

— مع من ستسافر يا سيدى ؟ ومن الذى اختاره القيصر لمراقبتك ؟ هل هو كرسابوس ؟

وهز بريسكوس رأسه نفياً وقال :

— كلا .. بل سيصحبني ماكسيمينوس .. وهو أهل هذه حمة .. انه سيدى الأول .

وقلت من مصيم قلبي باخلاص :

— اننى سوف اصحبك يا سيدى إلى اى مكان تذهب اليه ، وربما لم يكن الهون من السوء بالدرجة التى يصورهم بها هنا .

فقال سيدى :

— فكر يا زيتا جيداً ، انك حر ، ولو انك اخترت البقاء هنا فليس لى عليك أية سلطة .. فكر ملياً ..

فأجبت على الفور :

— لقد فكرت بما فيه الكفاية .

فقال بريسكوس :

— ان هؤلاء الناس يشربون الدماء ، دماء الانسان ، ففى المتاح الى تركيبتها . يشقون صدور الجرحى ، وبأسنانهم الحادة . يقطعون قلوب ضحاياهم وهى ما تزال حارة تنبض بالحياة .

أجبت وأنا أسمع اليه ان لوني قد امتنع ، كان جسمي يتشعر من الدم . من مجرد ذكره ولو فى كلام عابر . ولكننى احببت سيدى بعمق ، وقررت ان اذهب معه حتى ولو امرنى بالبقاء هنا .

وقلت له : اننى صاحبك يا سيدى ، حتى لو ذهبت إلى نهاية العالم .

فأجابني بريسكوس باسم : حسناً .. جهز اذاً كل ما ترى اننا نحتاج لأن نأخذه معنا فى رحلتنا . وستقوم المرأة العجوز باخراج اصص الورود من غرفتي ، حتى تنقل هذه الغرفة .

ثم مد لى يده بعض المال وهو يقول : هذه عشر قطع ذهبية لشترى بها ما نحتاجه . بعض التوابل التى يبيعها التجار المصريون هنا ، وبعض جلود التماسيح وجلود حمراء اللون ، وأقراط وخواتم نحاسية ، وكل ما ترى أنه مرغوب لىدى هؤلاء البرابرة .

وأطرق قليلاً ثم قال :

— ولكن ... هل تريد أن تأتى معى حقيقة ؟

وأجبت على الفور :

— من كل قلبي يا سيدى .. اذا امكن ان يتركك ظلك .. فاني سأتركك ..

داعيتها مغالب النور وعبت بها . ولكن عقود الذهب الكثيرة كانت تتدل على صدورهم ولها صليل ولعان يأخذ بالابصار . لقد كانوا خمسة .

وبداً رسل القيصر يمتحنون فى كل ساعة يطلبون سيدى للحضور إلى القصر ، أو يأتيها احدهم راكضاً يلهث ، ووصل إلى البيت كرسابوس مدير القصر وماكسيمينوس . مستشار القيصر ومنيجلاس المترجم ، لقد كان يتنأى يدي فى بعض الاحيان وكأنه مستشفي للمجاذيب ، وكان هذا الوصف أكثر انطباعاً بالنسبة

لقصر القيصر . فهناك كان السادة الكبار ينتشرون فى مجموعات ويتشاورون فيما بينهم وقد بدت فى عيونهم علامات الخوف . ثم اضاءت وجوههم سيماء الدهاء ، لقد جاء رسل الهون ، يحملون إلى القيصر رسالة من اتيليا يطالب فيها بتسليم جنوده

الحاربين إلى صفوف الأعداء الذين يعيشون فى المملكة الرومانية ، ويوجب امتناع شعب القيصر عن زراعة مناطق الارياض الواقعة على نهر استر بدعوى ان تلك المناطق من املاكه

وأشار فى رسالته إلى انه استولى على تلك الاراضى فاتحاً بقوة السلاح ، وهو يعلم كيف يستطيع حمايتها بقوة السلاح ايضا . واعتبرا فهو يرغب فى ان لا تقام الاسواق مستقبلا فى مدينته

ابليرين على ضفاف نهر استر ، بل يجب أن تقام فى مكان حدده ، يقع على حدود المملكتين على مسيرة خمسة أيام جنوبي ابليرين .

وعندما تقدم رسل الهون وسلموا هذه الرسالة إلى القيصر ، كنت أقف وراء سيدى بين الحاضرين ورأيت كيف امتنعت الوجوه من الرعب حين كان المترجم فيجلاس يتلو الرسالة

فقرة بعد أخرى ، ورأيت القيصر ينتفض الضمءاء عندما أخذ المترجم اخيراً يتلو الفقرة التى يعلن فيها اتيليا عن اطلب .

تمنيات الصحة والعافية للقيصر .. ومع ان الذين يستطيعون ادراك المعانى التى تخفى وراء الكلمات قد لمسوا ما تنطوى عليه تلك التمنيات من السخرية وسوء النية ، الا ان الذى كان

بهمهم هو أن اتيليا لن يتوجه بخيوله اليهم . ورفع القيصر رأسه ، وكان يبدو عليه التسليم بالأمر الواقع ، وسأل بمعونى الهون الذين يبدو فى نظرهم التحدى والغضب .

— هل من رسالة أخرى من مقامه العالى ؟

وهنا انتصب ديكون رئيس الميعوتين رافعا رأسه بشموخ ، بكتفيه العريضتين وشاربه الجميل ، وقال بكبرياء :

— ان اتيليا يريد ان لا يكون مبعوثوك اليه من الاشخاص العاديين ، بل يجب ان يكونوا على الأقل من اعضاء مجلس الشيوخ أو القناصل ومن فى مثل درجتهم .

كان هذا الهونى ديكون يتكلم كأنه القيصر تيودوسيوس ، ومع هذا فقد هز القيصر رأسه باسم متوددا ، وأمر باستضافة الميعوتين وتكريمهم حتى يتم اعداد الرد على رسالة ملك الهون .

واستغرق العمل فى اعداد الرد على تلك الرسالة اياماً طويلة ، ووقع الباء كله على سيدى الطيب . حتى ان الشعرات السود القليلة فى رأسه تحولت إلى البياض ، ورأيت اية كلمات وضعها



الوجودية وصراع

واديته

ان دراسة مميزات الجانب الآخر من المدرسة الفلسفية سوف تساعدنا كثيراً في فهم الوجودية . المدرسة التي تعطي الأولوية للجوهر . ويمكن اعتبار افلاطون واحداً من اكبر أعمدة الفلسفة الوجودية . . ويبدأ افلاطون بوضع خط فاصل بين عالَمين عالَم مكتشف لنا بواسطة حواسنا الخاصة ، وعالَم آخر يوضحه لنا ادراكنا العقلي (الى الحد الذي ذهب اليه افلاطون بكلتي « ادراك عقلي ») ويمكن تسمية العالم الاول بالعالم الحسي ، والعالم الثاني بالعالم الادراكي او عالم الافكار ان الناس غير المثقفين ، والمدرسين يعرفون الوجود من خلال العالم الاول فقط . الذي يكشف لهم اشخاصاً مشابِهيهم ، وعددًا كبيراً من البيوت ، والخيل ، والاشياء الأخرى . وعن العالم الأعلى . عالم الافكار فهم لا يعرفون عنه شيئاً . وقد دعا افلاطون الاشياء التي تكون العالم العقلي الأعلى بـ « افكار »

في نظره لا يحتاج الى التأكيد بأن مثل هذه الأشياء هي حقيقية ، ومعنى آخر ، أنها موجودة . فالوجود بالحقيقة هو « تحقيق الجوهر » . واستعمالاً للغة بين هذا الفارق بين هذين المبدئين المتمايزين للأشياء . فعندما أقول « أنا رجل » أو « كوكب الوجود ، وجودي أنا . و » « رجل » تدل على الجوهر . وهذا الفرق واضح ويميز في جميع الكائنات الا الله فيه لا يمكن تمييز الوجود من الجوهر . ان المشكلة التي يحاول الوجودي ان يحلها . أو هو يحلها . بطريقة معينة هي عندما يتساءل الانسان عن أي من المبدئين له الأولوية والاسبقية الوجود أم الجوهر ؟ ولغاية القرن التاسع عشر لم يشك الفلاسفة في أولية الجوهر . وهذا ما يدعونا لتسميتهم بالفلاسفة الجوهريين وما يميز الوجودي عن الجوهري هو ان الاول يعطي الاسبقية للوجود دائماً .

اسبقية ، ولكن على من ؟ الجواب هو اسبقية على جوهره . ان الأنثولوجيا (علم الكائنات) تميز بوضوح بين مبدئين متمايزين مختلفين يدعوهما الوجودي الوجود والجوهر ، ان جوهر الانسان هو ماهيته . ويعني آخر هو نظام او كائن حي بمميزات انسانية معينة ، فعندما نتكلم عن جوهر شكل معين ، فنحن نرجع الى المزايا التي يتشارك بها هذا الشكل مع كل الاشكال التي هي من نفس النوع . وهذه الاشكال مجتمعة تعطي مزاياها الكونية العامة . فعندما نتحدث عن المزايا العامة للانسان فنحن نرجع الى المزايا التي تتشارك بها الانسانية كلها . وبالإضافة الى هذه المزايا العامة ، فالانسان يملك صفات أخرى معينة نستطيع بواسطتها ان نميزه عن غيره من الناس . ولكن كما اشار بول فورتغور في كتابه الصغير عن الوجودية ، فالجوهر

رياض بولس يعقوب منذ الحرب العالمية الاولى وخلالها حظيت الفلسفة الوجودية باهتمام قوي من قبل الشباب خصوصاً شباب فرنسا ، وكانت موضوعاً خصباً لعدة مقالات صحفية في جميع أنحاء العالم ، وهذا ما يدفعنا لدراسة الموضوع والاهتمام به لئلا نرى اذا كانت الفلسفة الوجودية ستحافظ على تأثيرها على الفكر العشريني (الفكر في القرن العشرين) . ولكي نكتشف اي رسالة - ان وجدت . - تقوم الوجودية بتأديتها الى الانسانية ، نؤخذ كنقطة بدء الاصطلاح « وجودية » ماذا يعني . ان الكلمة مشتقة من الاسم « وجود » والنسبة « وجودي » . ان الوجودية تريد التأكيد على أهمية اهداف الشخص في الحياة « والقيم » التي يكشفها لنفسه خلال هذه الحياة . وبكلمات أخرى هي تؤكد اسبقية أولوية وجوده .

الجواهر والوجود

اعداد : قاسم التحرير

ويعتقد ان الحركة الوجودية قد جاءت كرد فعل لشكل عنيد، جاف من المذهب العقلي ، وان هذا قد أدى الى ادراك فجائي لعدة مآزق وقعت فيها الانسانية بسبب تحويل الاخلاق لاشياء دينوية . ففي نهاية القرن التاسع عشر ، هجر الفرنسيون فجأة تعليم الاخلاق المبني على الله ، وهذا قد أبعد نهائياً ما ينبئ من الجوهرية الروحانية ، لان القرنين الذين تعهدوا الاخلاق الدينية كانوا يؤمنون بقوة ، بانه يمكن الحفاظ على الاخلاق العامة بالانكار الله انكاراً تاماً . وبهذه الطريقة كونوا في فرنسا فلسفة جوهرية ولكن باسس جديدة ، وقد تصورت هذه الفلسفة الجديدة نوعاً انسانياً جديداً على الكل اعتباره نموذجاً مثالياً وعليهم الكفاح من اجل تطبيقه . وقد قيل ان الوجودية اليوم قد جاءت نتيجة للانكار اللاحق في فرنسا لهذا النوع الجديد من الانسان .

ان معظم الوجوديين يفضلون

أوغسطين كانت « الكلمة » هي مصدر كل معرفة . فقد كانت « النور الحقيقي الذي يضيء كل انسان يدخل هذا العالم » . وحتى عصر النهضة حمل الذين من الجوهر ملكاً على العلم والفلسفة . وتبع ذلك اعطاء كل الفلسفة الاسبقية للجوهر ، وظهروا اهتماماً ضئيلاً في البحث التجريبي للوجود .

وخلال عصر النهضة فقط استطاع الفلاسفة ان يخلصوا انفسهم من قيود الروحانيات . وقد ساعدتهم في هذا التحرر كل من ديكارت وفرانسيس باكون وشجعاهم على المضي في اتجاهات جديدة . ولكن هذا لا يعني ان طرق تفكيرهم قد تغيرت ، فقد اظهر العلماء اهتماماً ضئيلاً بالفريدة . وكان مهمهم الحصول على قوانين عامة علمية ، وخلال عملهم لتحقيق هذا ، ظلت الفردية شيئاً عديم الاهمية تقريباً بالنسبة لهم .

الذين يبرون من باب الكهف فالجنساء الذين لا يستطيعون رؤية سوى هذه الظلال المعكوسة يظنونها حقيقية . ولكن اذا تحرر واحد من هؤلاء الجنساء وخرج من الكهف الى العالم الخارجي الحقيقي . فسوف يؤخذ بقوة النور فلا يستطيع الا رؤية شيء قليل او لا شيء مطلقاً . ولكنه يدرك بعد وقت طويل من التعود على العالم الجديد انه يرى اشياء حقيقية . وان ما كان يراه سابقاً ليس سوى ظلال لهذه الحقائق .

هذه هي الصورة التي يعطينا اياها افلاطون عن العلاقة بين العالم العقلي والعالم الحسي . واستناداً الى كلامه ، فان في عالم الجوهر وحده نستطيع ان نحصل على فرصة للمعرفة . وعليه فيجب ان تعطى الاولوية للجوهر مع الوجود . وهذا عكس ما يعتقد الوجوديون . وقد أكد القديس اوغسطين على الجوهر بانه « الكلمة » او العقل الالهي . وبالنسبة للقديس

واعتبرها كنموذج لكل شيء في العالم الحسي الواطيء . ولكن هذه « النسخ » للنماذج المثالية ، الموجودة في العالم الحسي هي اشياء فقيرة سريعة الزوال وهي تموت اثناء عملية التكوين فكل ما نستطيع هذه الاشياء الزائلة عمله هو تحقيق انعكاسات باهتة للأفكار الموجودة في العالم الادراكي .

ومثالاً على هذا نقول : بما ان الانسان يملك بعض خصائص الطبيعة ، فهو لا يمكن باي حال من الاحوال ان يكون مثالاً الطبيعة أو مثلها .

ولكي يوضح لنا افلاطون مدى عدم تكامل ووهمية العالم الحسي يأتي بمثل الكهف ، فهو يطلب منا ان ننصور كهفاً عميقاً . قد وضع فيه بضعة سجناء . ربطوا الى جدار الكهف الصخري . فظهرهم مواجهة لباب الكهف وتعكس اشعة الشمس على جدار الكهف اشباح الاشياء او الناس

التعبير عن فلسفتهم والتدليل عليها بصورة غير مباشرة في قصص ومسرحيات وليس في نصوص فلسفية جافة. وقد أظهر هذا التفصيل سورين كيركجارد الذي يعتبر الآن المؤسس الحقيقي للحركة الوجودية ، ويعتبر كل من جان بول سارتر وسيمون دو بوفوار من أسس الفلسفة الوجودية الحديثة ولكنهما اقل حقيقة من مارتن هيدجر .

ولكن ما هي الوجودية ؟
مبدئياً : هي تمثل إلغاء سياسة الجوهريّة ، التي كان القرنسبون قد اعتقوها بتأثير من اصحاب مذهب الاخلاق الدينية .
اننا بطبيعة ممارساتنا العقلية والعلمية ميالون الى ملاحظة كل ما هو عمومي في الناس ، فاشلين في ان ندرّك خصائصهم الشخصية والفريدة ، ونواجههم ونحسن متسلحون بعدد من مختلف المراتب النفسية آمليين ان نستطيع تصنيفهم في واحد او اثنين من هذه الاقسام . ونحن ميالون لمعاملة انفسنا بهذه الطريقة نفسها . ولكن عوضاً عن ملاحظة ومراقبة حياتنا الداخلية ، وهي تسير بصورة فريدة وذاتية في كل واحد منا ، فنحن نوقف هذا السير بوضع كل ما رأيناه تحت متناهة الحقيقي .

وقد تحرك الوجودي من هذه الناحية الادراكية لحياتنا الداخلية فهو يحاول ان يراقب سير وجوده الشخصي ، ويمتنع عقله من التعرض لهذا السير بمحاولته تحليله .

وبعطينا جان بول سارتر مثالا شخصياً لما نحاول الوجودية ان نفعله . فهو يصف واحدة من هذه الملاحظات التي يصعب فيها الفرد واعيا لوجوده الشخصي وهو يضع كلماته في فم « روكاتان » . بطل قصّة « الغثيان » ، عندما كان جالساً

في حديقة عامة يراقب شجرة ولا أرى داعياً الا ان اسطر مقطعاً من هذا الكتاب . لان معظم المطالعين قد قرأوه ويستطيعون الرجوع اليه .
اننا نسام لنجرب اسرار وجودنا ، ننظر حولنا لتسامل عما يعني هذا كله . ومرة أخرى وبدون شعور نترلق في التسوم من جديد . وفي الوقت الباقي فنحن متعلقون بأفكارنا وشعورنا وحركاتنا واحلامنا الى الحد الذي نفقد فيه كل شعور بوجودنا الشخصي .

ومثل كل العلوم النفسية والفلسفية ، فللوجودية رطائنها واذا اردنا ان نتفهمها علينا ان نعرف شيئاً عن المعاني التي تلحقها بكلماتها فمثلاً ماذا يعني الوجودي بكلمة « الوجود » ؟

يجيب بول فرونتور على هذا السؤال بقوله ان الوجود هو ليس حالة ما فاعلم عمل . انه التحول من الاحتمال الى الحقيقة . وهو يقول ان الانسان اذ لم يولد ان يوجد فعليه ان يختار ماذا يجب ان يكون . وعلى هذا الاختيار ان يتكرر مسرات عديدة في حياته لان الوجود يجب ان يكون « سموّاً دائماً » . فنحن نوجد فقط في التقدم نحو مرحلة من الوجود نراها بواسطة اختيار حر ، وبما ان جوهرنا يقرر ماهيتنا فلما اختره نحن هو جوهرنا عندما نقرر ماذا نريد ان نكون .
ويعطي الوجودي الانسان نطاقاً معيناً للاختيار ، وهو يعرف بان نطاق الاختيار هذا محدود ، فما ستكون عليه يعتمد بصورة كبيرة على « الكروموسومات » (وحدات وراثية) التي تنقل النسا حضارتنا الوراثة . وطريقة اختيارنا هي ان نتعهد سلوكاً

خاصا دون غيره وان نحاول ان نعيش أفكارنا الخاصة . والحقيقة . فان من الصعب الاختيار ، لانه تقتضيا المعرفة الكاملة التي يجب ان نتمسك عليها في اختيارنا . وبمكس الجوهري فالوجودي لا يملك مثالا ثابتا ، وهو لا يعترف حتى بمعيار ثابت للانسان ، فعلى كل واحد منا ان يعتبر نفسه وبقيتها ، فما عليه ان يكونه لا يوجد مكتوب في مكان ما ، وانما عليه ان يحمده . وبدون شك يستطيع الانسان ان يستشير او يسلم زمام حياته لشخص يثق به .. ولكن اختيار هذا الشخص الذي وثق به قد لا يقل صعوبة ، لانه الانسان ايضاً .

وفي هذه المرحلة من الاختيار يتضح الالم او المعاناة اللذان يؤكد عليهما سارتر في معظم كتاباته ، فالوجودي وقد رفض كل فكرة عن عالم مثالي ، مثل عالم الأفكار لأفلاطون ، وضع نفسه في مركز حرج ، لأن عليه الاختيار بدون ان يملك اية مبادئ يبنى عليها اختياره ، وهو لا يملك أي شيء ايضاً ، لكي يقرر فيما بعد ان كان اختياره جيداً أم لا ، وهذه هي قاعدة الالم الوجودي . الذي ليس هو في كثير من الاحوال الخطر الاكبر بقدر ما هو العاطفة القوية التابعة من شعور الشخص بانه قد وضع في مكان دون ان يرغب فيه ، وباجباره على القيام باختيارات لا يستطيع ان يعرف ماذا سيلحقها ، وعليه فلا يمكنه الحكم عليها .

ان هذا الاختيار غامض وأعمى ، ولما كان هو الذي يقرر الاتجاه الذي سيسير عليه لذا فاننا نرى ان الفلسفات التي

اختارها وجوديون مختلفون ، تختلف كثيراً ايضاً ، فهناك أنواع عديدة من الوجودية ، هناك الوجودية العدمية الملحدة لسارتر ، والوجودية البروتستانتية لكيركجارد ، والوجودية الكاثوليكية لبييرل مارسل ، وتلك الفلسفة الغربية المخطئة لويس لافيل والتي يدعوها

الفلسفة الوجودية الجوهريّة .
ومع هذا الاختلاف فالوجودية تطلب شيئاً واحداً ، وهو ان اختيار الوجودي يجب أن يكون مخلصاً ، وانه لشيء معترف به ان عمل الاختيار هذا ، يشكل الخطر الأساسي في الوجودية ، وواضح هو الاضطراب الفكري السائد غالبا ما نجده في الفلسفة التي اختارها الوجودي الفردي ، وخبر مثال على هذا الفلسفة الوجودية الملحدة لسارتر ، ففلسفة سارتر ترعرت خلال الحرب العالمية الثانية وإبان احتلال الألمان لفرنسا ، ان اشكال الفلسفة الوجودية السارترية هي نتاج من نتاج الازمة ، وهي تذكرنا بفلسفة انعدام المعنى التي عرفت بعد الحرب العالمية الأولى ، فالكثير قد دفعوا غالبا لكي يلعبوا دورا في تلك الحرب ، وكانوا من الرومانتيكية بحيث اعتبروا اعمامهم هذه نوعا من الجهاد . لقد اعتبروها حرباً « لانتهاء كل الحروب » وحرباً « لاقاذا الديمقراطية » ، وكان هذا هو سبب ما قاساه الغرب من رعب وضحايا كثيرين ، إذ كان الجميع يعتقدون انهم يعملون شيئاً نبيلاً وانهم مجاهدون .

وفي معاهدة فرساي . كانت الخيل السياسية القديمة تلعب

كلمات باسم

أتصلت امرأة تؤمن بالبعوضة
وعلمة استحضر الأرواح ،
بروح زوجها الراحل ، فأنته :
هل أنت مسرور حيث أنت ؟
— أكثر مما كنت مسرورا في
الدنيا . وبقربك .
— حسنا إذن ، أرجو ان التقى
بك في الجنة .
— ولكنني لست في الجنة .



دخلت سيدة عجوز احدى
الصيدليات وسألت الصيدلي :
— هل لديك شيء للشعر الأبيض ؟
فأجابها :
— أجل يا سيدتي : عميق
الاحترام !!

.....



في احدى الحفلات ، اضطر
الروائي المسرحي الاميركي جورج
س. كوفمان للأصفاء الى شخص
مزعج كان يروي قصة تبدو ان
لا نهاية لها . وفجأة توقف الروائي
عن الكلام وقال :
— المعذرة ، يبدو انني استيقظ
من النوم .
فوضع كوفمان يده على ذراع
الروائي مستعظفا :
— ارجوك لا تعود الى الورا .

.....

دعت احدى سيدات المجتمع
الموسيقي فيردى يوما واسمعه
عزف ابنتها على البيانو . وكانت
معجبة بها . فلما انتهت الفتاة العزف
سارعت الأم الى معرفة رأي
صاحب « عابدة » في ما سمع .
فقال لها : يبدو لي . يا سيدتي .
انك قد انشأت ابنتك تنشئة
دنيئة بحتة ، فان بدنها اليسرى لا
تدري ما تفعله بدنها اليمنى .



دخل اينشتاين احد المطاعم
وجلس الى المائدة لتناول غذائه
وقدس يده في جيب سترته لينتاول
نظاراته . فلم يجد فيها أي اثر ،
فحار في امره ، وهو لا يستطيع
تمييز ما يحتوي عليه لائحة الطعام
من أصناف بلا نظارتين . فنادى
الخادم وطلب اليه ان يقرأ له ما
كتب في اللائحة ، فما كان من
الخادم الا ان قال وهو يهز
رأسه : المعذرة يا سيدي ، فانا
امي مثلك

دورها . ولكن على نطاق
اوسع من قبل . وهكذا فشلت
الحرب التي ارادت القضاء
على جنون الحرب . وقد
اصبح جيل تلك الحرب
وما بعده . بعد ان قامى من
هذه المخادعات ، جيلا لا يؤمن
بصلاح البشر ، فبنى الفلسفة
الفقيرة ذات المعنى المدموم ،
فلم يكن هناك اى معنى . وقد
كان رجال ذلك الجيل اغبياء
اذ ظنوا بوجود معنى .
وبروح هذه المرارة تقسها
. تبني المفكرون الشباب والفنانون
فلسفة سارتر الوجودية ، فكانوا
يخلطون في مقهى سان جرمان
يضحكون ويشربون ويقرحون .
كانت هذه فلسفتهم . ولكن
لوقت محدود . فقد اهمل
بعض اتباع سارتر انفسهم .
ولكن ليس سارتر نفسه .
لقد قبل سارتر واتباعه
رسالة نيتشه القائلة بأن الله ميت .
في السابق اتصلت الالفة
بالانسان . أما الآن فالصمت
سائد . وقد حدث هذا لكي
ينسى الانسان الله . ولكي
يستفيد من حريته ومن قابلية
الخلق عنده . وسارتر يؤكد
لأتباعه انه لا يوجد كون غير
الكون الانساني للذاتية الانسانية
، ولذا فعل الانسان ان يخلق
قبعه بنفسه .

ان الاقبال الشديد على الفلسفة
الوجودية هو نتاج خاص
للتشاؤم الذي تسببه حرب عالمية
وسلام بارد . عندما تهتم بقيمة
كل من الفارق النظري بين
الجمهورية والوجودية وإلى الام
التسبب من الاختيار الشخصي
الذي نصر عليه الوجودية ، فانا
اعتقد ان التاريخ سيرتني ميلا
نحو التشاؤمية والتفاوتية

الخليج العربي

الاستاذ قدري قلعي كاتب هادى ، يعيش لفنه بصفاء
واخلاص بعد ان تزود ، من غدرات الايام وتقلبات الزمان ،
بذخيرة وافرة حية من التجارب ، في عالم الحياة وآفاق
الكلمة ، ودنيا الناس ، ولقد زاده كل ذلك ، صفاء واخلصا
لرسلته ، وانتهى إلى الابتعاد ، رغبنا ودونما قسر أو جبر ، عن
الضيغ الاذى العام ، الذى يعكر حياتنا الادبية والفكرية ، في
هذه الفترة المخطاط من التيارات المتضاربة التى يضع
في زحمتها الاصل ، مع المحجين الدخيل .
ومن هذا المناخ النفسى الهادئ المطمئن ، يتفحنا الاستاذ
قدري قلعي ، بين حين وآخر ، بكتاب قيم يهديه للمكتبة
العربية ، جديدا في سمته وملاحمه ، جديدا في موضوعه ،
وضرورياً .

وأخر كتاب نزل إلى الاسواق من تأليف القلعي ، كتاب
« الخليج العربي » ذلكم السفر الضخم الذى يعرض أخطر مشكلة
عربية مقبلة . في الايام القريبة ، على العالم العربي . بعد فراغ
الاستعمار من بعض معاركه معنا ، في أجزاء اخرى من وطننا
الكبير ..

وتأتى أهمية الكتاب ، علميا وقوميا . من أهمية المنطقة
التي يتحدث عنها ، في عالم الاستراتيجية السياسية العربية الراهنة ..
فن الوجهة العلمية ، لا تزال منطقة الخليج العربي ، مجالا
بكر للدارسين والكاتبين ، تاريخيا وسياسيا وجغرافيا .. وقيل ان
وجد من كتب عن هذه المنطقة بشمول وعمق معتمدا على التطور
والتشليل التاريخيين لهذه المنطقة الخطيرة .. بل ان الكثرة
الكثيرة من الكتب التى خرجت في هذا الموضوع ، تعتبر ضارة
للقضية القومية في تلك المنطقة .. ذلك انها ، في غالبيتها العظمى ،
لا تعتمد الروح العلمية الموضوعية في الكتابة والدرس .. بل هى
موضوعة اصلا بدافع من رغبة مادية متكسبة ، وهى ، لذلك ،
أقرب إلى الرياء والمجاملة منها إلى روح الاخلاص للعلم والفكر
والتاريخ ...

ومن الوجهة القومية ، فان منطقة الخليج العربي ، ومن
بعدها منطقة الجنوب العربي ، هى الميدان المقبل لفصل حاسم
جديد من فصول معركتنا الطويلة مع الاستعمار العادى الباغى
الذى ما فتئ يدرس ويخطط ، لتأخير عجلة الركب العربي ،
عن بلوغ اهدافه وأمانه ، ولعله من المعروف ان استراتيجية
المعارك ، الحربية والسياسية وحتى الاجتماعية ، تقتضى ، بل
تشرط أولا ، على اصحاب أية قضية ، ان يدرسوا ، قبل كل
شئ طبيعة وطبوغرافية الارض التى ستشب عليها المعركة ..
لوضع جميع الاعتبارات والظروف الكائنة والمتنظرة في حسابهم ،
سلبا وإيجابا .. وليس من شك في ان الرأى العام العربي ، وحتى
النخبة المثقفة منه ، لا يملك فكرة واضحة عن منطقة الخليج
العربي ، على سائر المستويات : تاريخيا وجغرافية وسياسية
 واجتماعا .. بل ان الغالبية الكبرى من أبناء هذه المنطقة



تأليف: قدري قلعي
بقلم: ياضي صدوق

مكتبة

ان العقائد والمبادئ المرتكزة على فلسفة معينة ومثلها الحركات ذات الدافع الروحي تصبح بعد بلوغها مرحلة معينة . أمعن من أن يقضى عليها بالقررة المادية ، اللهم الا في حالة واحدة . هي ان تكون هذه القوة المادية في خدمة فكرة أو عقيدة فلسفية جديدة تلوح للناس بمشعل جديد .

عرف فلاسفة الاغريق المجتمع المثالي بقولهم :

حيث يكون الاعتداء على اقل مواطن اعتداء على الشعب
حيث يكون لقانون سلطة على السلطة العليا
حيث الغني لا يطرده الغني ، والفقير لا يحطمه الفقر
حيث يعمل الجميع للخير ، ولا يعملون للشر
حيث يحثي المواطنون للسرور ، اكثر مما يحثون العقاب

ان تحويل الشعب الى اممة خلافة بفرض قيام وسط اجتماعي سلم يعمل على تنشئة المواطن تنشئة وطنية . فليس يستشعر الاعتزاز بالانتماء الى بلد ما الا من يتعلم في البيت والمدرسة حب الوطن ويقتل المجاهد في ميادين الفكر والسياسة والاقتصاد . ان الانسان لا يتأصل الا من أجل ما يجب . ولا يجب الا ما هو حري بالتقدير والاحترام . فكيف يطلب من مواطن ان يحب وطنه ويقدره وهو يجهل تاريخه ولا يفكر في كنهه . بانه ينعم بما تؤمنه الدول الأخرى لوهاها من طغيانية واستقرار ؟

من « كفاحي »

ان الخلية المريضة تنتظر الذين يهجرهم الحقل في القرية ويهبطون المدن في طلب الرزق عن طريق العمل الهين .

انعدام التربية البيتية في مجتمع ، يؤدي حتماً الى ارتخاء الوشائج التي تشد الابناء الى الآباء وتشد ، بالتالي ، العائلة الى الدولة .

ان الأمم لا تنجب العاقرة الا في الايام المباركة ، وما أقبلها !!

ان عظمة التضحيات وحداها هي التي توفر للاممة ابطلا جديدا لا يترددون في البذل ولا يمتنون مهما يعرض سيلهم من عقبات . وهؤلاء الابطال يجب ان نبحث عنهم في صفوف الشعب .

حللوا بسلام ابدى واستيقظوا على قصف المدافع !!

كان الحسين يرود حولنا متكرراً بزي العقل .

انفسهم يجهلون حقيقة اوضاعهم وتاريخ بلادهم ، وأهميتها في عالم السياسة المعاصرة ، جهلا مطبقا ، يشكل خطرا كبيرا على امكانيات نجاحنا في معركتنا المقبلة ، مع قوى الاستعمار على أرض الخليج العربي .

ولقد جاء كتاب الأستاذ قدرى قلعي عن « الخليج العربي » سفرا نادرا ، يجمع الشمول والدقة في البحث إلى الأسلوب الهادئ الرصين الذي يسلسل الاحداث ، بروحية العربي المخلص واسلوب الاديب المبدع الذواق .. تسعه في ذلك ، معلومات وافرة استطاع ان يرصدها ، ويعيش جانباً منها بنفسه ، خلال وجوده في الكويت ، روحاً من الزمن ، استطاع خلالها ان يدرس ويحصى ويقارن ، ويطل بالناس إلى الكويت على سائر آفاق امارات الخليج العربي المجاورة .. والكتاب يتعقب الموضوع من البداية ، فيقرر بأسلوب علمي اولا أن الخليج عربي وليس فارسياً كما يروج ذلك المستعمرون وبعض « مجنديهم » من المؤرخين والمشترفين الاجانب ، ثم يعرض بسرعة لمحة جغرافية المنطقة والملاح والمراكب والحركات البحرية في الخليج ، توطئة للدخول بالقارئ ، دخولا يينا واقفا ، في مهب احدث العالم القديم ودور الخليج في سائر العصور الاسلامية المتعاقبة ، مع تفصيل مسهب عن الدويلات التي قامت في بعض أجزاء تلك المنطقة ، على التعاقب ، وبعد ذلك ينتقل إلى دوامة الاستعمار العالمي وضياح الخليج العربي ، في منجزها .. حتى اذا شارف على القرن العشرين ، اطل على جماع المشكلات المعقدة التي ورثتها منطقة الخليج العربي ، على كل الاجيال ، وبسبب من سلسلة المؤامرات والمخططات الاجنبية الهادفة إلى استعمار خيراتها وكراستها .. ثم يتحدث عن بواكير النهضة المعاصرة المفتوحة في بعض مناطق الخليج .. وهنا ، يشاء الأستاذ قدرى قلعي ان يتحدث بكثير من الرفق والتشجيع ، بأسلوب رقيق غير نفاقد ولا كاشف ، وهو أمر لا يمكن الا ان يكون كذلك ، من رجل تعود ان يغفر الزلة طامحا إلى الاصلاح والبناء ..

وفي رأينا ان جامعة الدول العربية اولا ، وامارات الخليج العربي ثانيا ، والدول العربية ثالثاً ، مطالبة كلها بتشجيع هذا الكتاب ، وتعميم نشره في الاوساط القارئة ، وعلى الخصوص في الجامعات والمعاهد ، لبناء فكرة واضحة وصحيحة عن منطقة الخليج العربي ، في اوساط الرأي العام ، لتهيئه نفسياً وعلمياً ، لمعركتنا المقبلة ، مع القوى المعادية ، في منطقة الخليج .. كما ندعو الأستاذ قدرى قلعي ، ان يجهد نفسه قليلا لوضع كتاب عن منطقة الجنوب العربي لتكمل الدراسة عن هذه المنطقة العربية المهمة ، بأسرها .. لان الجنوب العربي ، يشكل في واقعه امتدادا اصيلا ، لمنطقة الخليج ، وسيظل كتابه القيم عن « الخليج العربي » احوج ما يكون إلى ما يكمله ، علمياً وقومياً . ولن يتم ذلك الا بتغطية منطقة الجنوب بدراسة قيمة جديدة ..

مع الشمس

للشاعر: محمد الفارس

ما بال ليك لا كأس ولا قمر
وللقصائد لا وحي ولا صوّر

هل غاض في قاعك الصّباير هادئة
وجفّ فبك خيال فيضه هدير

حاشا لحرفك أن تجبو حرارتك
وللعواطف أن يجبو لها شَرَر

بلى صمت ولكن مثلما صمتت
سحابة عافها من ثقله المطر

إني ألبّد روعي في غمازهم
حتى يحين لها حين فتفجر

ستّ وعشرون من عمري أكابدها
مع الجفاف وعودي أخضر نصر

وما نصت لأنّي لم أجده مددًا
سبّان عندي ما يأتي به القدر

وقد ألفت طوافي كيف ما اتجهت
في الركاب ويثني وجهة سقر

إني أقبل جرحي ثم أمسحه
فتحت كل جراح تكمن الفكر

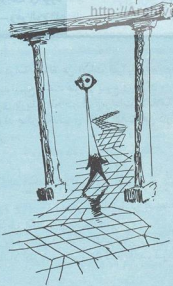
إذا تلبّد ليلى في غياهبه
فإني في دجائه ذاك الممر

وان تملّكت الأقداح عن عظامي
تركتهما للذي بمدي وأعتلر



ARCHIVE

<http://Archive.beta.Sakhril.com>



الرهينة

من عمود الشعر الطرطوسي عن فريدريكش فون سيبر (١٨٠٥ - ١٧٥٩) ترجمها عن الألمانية و نظمتها بالـ

وأقبل موروس يسعى إلى صاحبه .

وقال : لقد أصدر الطاغية

أوامره الصارمة

أن أدفع الروح فوق الصلب

جزاء الذي قد جرؤ فعاهدت نفسي عليه .

ولكنه أمهلني مهلة

اسلم אחي أثناءها

إلى يملها المنتظر ..

وهل لك في أن تظل رهينة

لدى الملك حتى أعود أفك الرباط ؟

.....

وعانقه صاحبه

ومرر يداه في ثقب

وسلم أحبي نفسه للملك ..

وسلم أحبي نفسه للملك ..

وإذ برغت الشمس ثالث يوم ..

ورفعت شقيقته القريس ..

رأيتاه يغمي بعد المسير بقلب قلق

مخافة أن يخلف الموعد ..

.....

وراح المطر

يصب شآئيه من بطون القسرب ...

تدوقت الأهار بين الخصال ...

تجسرت الآثار فوق التلال ..

فلم يرك في حيلته

سوى أن يحيط راحاله

بصفة يهر تحطم جمره

بفعل السيول الغضاب

وهوج الريح

ورجعة الموج من حوله

فلم يبق قوس به أو ركيزة ..

تسلل موروس في خفية .

وتحت عاءته خنجره ..

إلى حضرة الطاغية ..

ديونيس ... رأس القطعة

فباعته ثم بعض رجال الدرك .

وجسرو له الملك الأعظم ..

فبادره حانقاً غايه

« تكلم ... علام حملت السلاح ؟ »

أجاب : « لتحرير بلدنا من شرور القطعة

فقال : « تباً إذا لتكثُر بالفضل عن نيتك ..

جزاء وفاقا ..

.....

فما كان منه سوى أن أجاب

« أنا للمسنون على أهبة ..

ولن أقدم منك لأخو يجلدي

ولكن إذا شئت تسجينها مأثرة

لدي .. فأمهل ثلاث ليال بأيامها .

أسلم אחي فيها إلى يملها

وها أنا أثرك هذا الصديق ليدك رهينة

إذا ما تخلفت .. بادر إلى شقة ..

.....

ولاح ابتسام حيث على شقة الطاغية .

وأطرق في لحظة وأجاب :

« متحكك ما تطلب ..

ثلاث ليال بأيامها .

ولكن .. لتعلم .. إذا ما انقضت مهلتك ..

ولم تك قد عدت فيها إلى ...

سأشقت صاحبك المصطفى .

وأسلم القفاس للمسنون ...

وتسقط عنك العقوبة ..





ص *

.....

وبذرع صاحبنا الشاطئ
ذهوباً وجينة ...

يحدق في الأفق المدمم
ويستطلع السحب أنباءها ،
وأصدقاء صبحانه

تردد في جنات البطاح
وليس على الشط من سامع
قمن بأن يوصله
إلى مبيتاه البعيد .. القريب
ولا من يحجب

سوى السيل يهدر في جريه
إلى مستقر له في خضم البحار .

.....

وأقعى على الضفة الموحشة
ينوح ويندب آماله
ويرفع كفيه نحو زبوس
ويضرع :

« ألا فلتكف البلاء المحيق ...

فساعاني اليوم معدودة ،

وها هي ذى الشمس

تدرج نحو أعالي السماء

فإن أدنت للمغيب

قبل بلوغى المدبنة

سيلقى صديقى الصديق إذا حظه . »

.....

ولكن تلك السيول السفهة

تثور وترغى ولا ترغى

وامواجها لا تنى تزيد

وتمضى الدقائق ... تمضى سراعاً ،

وتبلغ خشيته المنتهى .

فيفز من ثم في جراءة
إلى لجة الغيب الفائز المائر ،
ومضى يشق العباب
بأساعده ... والاله هو المستعان .

.....

ويبلغ من ثم شطّ الأمان ،
ومضى بحث الخطى دابّاً
وتلهج أعماقه بالثناء
وبالشكر للمنقذ الاعظم .

وتفجّاه عصبة من لصوص
ترامت عليه من الغابة التالية ،
فسدّت عليه طريق العبور
وحدت على الكُرّة من سرعته
ملوحةً بالعصى ... ومنذرةً بالبور

.....

وصاح بهم حانقاً :

« رويدكم ... ما الذى تتفوق ...

وما في يدي غير روجي ...

وروحى دينّ علي لسلطاننا الطاغية ؟ »

ومال على الرجل الاول ،

وبادر فاسئل هرواته ،

وقال : « اليكم عنى .. فانى

احاول انقاذ من لم يضر علي بروحه . »

وجندل منهم ثلاثة ...

وشمر من ظل منهم ذيول الفيرار .

.....

وأرسلت الشمس في قفّظها

شواظاً من الحمم اللاهبة ...

وهدّت قواه الجهود العنيفة والهفة المضنية

وأهكّه الظمأ القاتل .

فأقمى على ركبتيه يتمتم :

« إلهى ... ترفقت في يا إلهى ،

فخلصنى من أذى المجرمين ،

وأنقذتنى من غمار السيول ،

وقدّدت خطاى إلى هذه البقعة الطاهرة ...

فما لك تتركنى بعد هذا أموت

هنا حتف أنفى موت البعير ...

وبقضى صديقى الحبيب هناك مكافئ ؟؟ »

.....

ولكن صه

هناك تأقني إلى سمعه حشرة ...

على مقربة ...

خبر اتسياب مياه خلال الصخور .

ويصق ... وينظر نحو المكان ...

يقينا ... هنا الصخر يسفر عن نبع ماء

وديع يسبح باسم الحياة .

وتغمره فرحة طاغية ...

ويجرى برطب أطرافه بالمياه .

.....

وتزقه الشمس بين اخضرار الغصون ،

وترسم فوق بساط الدمقس النضير

ظلالاً من الشجر الباسق .

وشخصان ثم من السابلة

يحوسان عبر الطريق .

ليخفف فوراً اذا ،

ويصت إلى ما يقولانه .

وتصدّم أسعاه كلمات يقوه بها واحد منهما :

« ... اظن الكليل يساق خلال دقائق للمشقة »

.....

وطار خفيفاً بحث الخطى

يطارده قلق عارم ...

وبين غيوط الشفق الغارب

تبدّت على البعد أبراج سرّ قسطنطة
وأقبل فيلستيراؤس عليه
على عهده في حراسة دور المدينة
وفي الثروة ...
فلا بد من أن يميره واثقا ،
ولا بد أن يحاطبه معجبا ؛

« لرجع ... لرجع ... فلن تُقْذَر »
وفات عليك ... وفات عليه .
فهلّا تجوّت ببلدك ...
تَقْضَى نهار كما ساعة ساعة
وطال عليه انتظارك
ولم تَكُ يفقد فيك الأمل
ولم تَكُ سخرية الطاغية
لترجع من نفسه الثقة المطلقه .

.....
« اذا هو مات ... وفات الاوان ...
وأعجزني ان امدّ يدي لائقاده ...
فاني سأرجع حتما كوكوس المنون معه .
فلن أشفى اليوم للطاغية
غليلا بأنى خنت الامانة .
ليذبح شهيدتين لا واحداً كيف شاء ...
ولكن ليؤمن بأن العقابيل للحب وصدق الوفاء .

.....
وها هي ذى الشمس تجنح نحو المغرب ...
وها هو ذا واقف عن كيب
يراقبُ رفع الصليب .

وشنى ضروب الخلائق من حوله
تغض بأبصارها خاشعة ...
وطيف بحر الهوينى بأعلى الجبال .
فيصرخ وهو يشق الطريق

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

خلالَ الجموع الكثيفة :

« أنا ها هنا ...

لأشئُ أنا ...

أنا ها هنا الأصل ... وهو الرهينة .

.....

ويحتشدُ الناس كالحالين ..

وقد خلبَ المنظرَ الفذَ ألبابَهُمْ .

وَسَمَّ الصديقُ الصديقَ إلى صدره ،

وضجَّتْ عيونُهُما بمعاني الأسي .. والحبور ،

ولم تبقَ واحدة من ألوف القتل

جفتها الدمبوع ...

وسرعان ما نَمَى النُبأ المذهلُ ،

إلى مسمع الملك الأعظم .

فخالبه أثر باهتٌ من بقايا الضمير .

وما كان منه سوى أن أمر

بأن يهرعاً للمشول لدى عرشه .

.....

وفي السدة السامية

لدى المَلِك .. والعرش ... والصوبجان ..

تفرس في الصاحبين ملياً ، وقال :

« أرى أن قد اجتَرَمَا الامتحان ...

ومس حديدكُسا مهجتي .

إذا فالوفاء حقيقتهُ واقعة ،

وما هو مما يلوك اللسان ،

من اللغو واللغَط الصارغ .

الافاقيلاني رفيقَ طريق ،

وثالثُ هذا الرباط الوثيق .

الا حَقَّقَا لي حلمَ الرِّمَان ...

ألا تقبلان .. ألا تقبلان ؟؟؟

